

الصراع اللغوي قراءة في ضوء علم اللغة الاجتماعي

اسم الباحث: الدكتور بدر بن سالم بن جميل السناني.

المؤسسة: جامعة التقنية والعلوم التطبيقية (كلية التربية بالرسّاق) - سلطنة عمان.

رقم الهاتف: 0096896235756

البريد الإلكتروني: bader.alsinani@utas.edu.om

تاريخ الاستلام: 2025/06/11 تاريخ القبول: 2025/06/16 تاريخ النشر: 2025/06/18

ملخص البحث

إن ازدواجية اللغوية أمر واقع في اللسانيات الاجتماعية، ولعل ازدواجية بين الفصحى واللهجة العامة أكثرها شيوعاً بين اللغات البشرية، حيث يثبت علم اللغة الاجتماعي وجود حَظَّين لغويين في كل مجتمع، فثمة الثقافة الفصيحة، أو المدونة الرسمية الخاصة بالفكر، والصحافة، والإعلام، ويقابلها المدونة الشعبية الحية المألوفة الشائعة على الألسن، وهي الثقافة المحكية في البيت، والسوق، والشارع، وهذه ازدواجية نابعة من اللغة ذاتها، وتعود إلى اللسان نفسه. فالناظر في واقع مجتمعاتنا العربية يلحظ حدوث ظاهرة التحول اللغوي من الفصحى إلى اللهجة، وهي ظاهرة لا تقتصر على اللغة العربية، فهي تحتل مساحة مميزة في سياق اللغات البشرية، وهذا ما أثبتته الدراسات اللغوية التقابلية، فهي ظاهرة تندرج تحت مظلة الثنائية اللغوية؛ حين يتحول المتكلم من الفصحى إلى اللهجة.

تعد ظاهرة التحول اللغوي مهمة جداً في علم اللغة الاجتماعي؛ لما لها من أثر في تشكيل المجتمع، وتكوين ثقافة الطالب وهويته، وهذا ما يسعى إليه هذا البحث الموسوم بـ(الصراع اللغوي قراءة في ضوء علم اللغة الاجتماعي) الذي يحاول أن يرصد هذه الظاهرة. ويقف على أمور عدة، تأتي في أربعة فصول، وهي:

الأول: الوقوف على مصطلح علم اللغة الاجتماعي.

الثاني: الفصحى واللهجة.

الثالث: قراءة أثر التحول اللغوي في اللغة والفكر والهوية.

الرابع: وضع مقترح لعلاج هذه الظاهرة، أو التقليل منها.

اتكأ البحث على المنهج الوظيفي الذي يعطي المستمع صلاحية الكشف عمًا نسمعه فعليًا -إذا توخينا حسن الإصغاء- أصوبًا كان هذا الشيء أم خطأ ؟
هذا ويحاول البحث -بعد الإطار النظري، وبيان أسباب الظاهرة، وأشكالها- تقديم جملة من الحلول للتخلص منها، أو تقليلها. ليفيء البحث إلى خاتمة عامة، فالمراجع التي أفاد البحث منها.
الكلمات المفتاحية: الازدواجية اللغوية، الثنائية اللغوية، الفصحى، اللهجة، علم اللغة الاجتماعي.

Research summary

Linguistic duality is a reality in social linguistics, particularly the duality between Modern Standard Arabic and colloquial dialects, which is the most common among human languages. Sociolinguistic studies confirm the existence of two linguistic lines in every community: the formal culture, or the official register of thought, journalism, and media, contrasted with the lively popular register that is commonly spoken in daily life at home, in the marketplace, and on the streets. This duality stems from the language itself, returning to the tongue.

Observing the reality of our Arab societies, one notices the phenomenon of linguistic shift from Modern Standard Arabic to dialect. This phenomenon is not limited to the Arabic language; it occupies a significant space within the context of human languages, as demonstrated by comparative linguistic studies. It falls under the umbrella of linguistic duality when a speaker shifts from Standard Arabic to a dialect.

The phenomenon of linguistic shift is very important in social linguistics due to its impact on shaping society, forming student culture, and identity. This is the aim of this research, titled “Linguistic Conflict: A Study in the Light of Social Linguistics,” which seeks to document this phenomenon and address several matters, structured into four chapters:

- 1- Understanding the term social linguistics.
- 2- Modern Standard Arabic and colloquial dialect.
- 3- Examining the effects of linguistic shift on language, thought, and identity.
- 4- Proposing solutions to address this phenomenon or reduce its occurrence.

The research relies on a functional approach that allows the listener to uncover what we actually hear—if we listen attentively—whether it is correct or incorrect.

After presenting the theoretical framework and clarifying the causes and forms of the phenomenon, the research attempts to offer a range of solutions to eliminate or reduce it. Finally, the research concludes with a general summary and references utilized throughout the study.

Keywords

linguistic duality, bilingualism, Modern Standard Arabic, dialect, sociolinguistics.

الفصل الأول: علم اللغة الاجتماعي (Sociolinguistic) في الدرس اللغوي.

"اتفق الفلاسفة واللغويون على أن الإنسان لا يستطيع أن يفرق بين فكرتين تفريقاً حقيقياً، بلا علامات لغوية، أي: كلمات، فالتفكير بلا كلمات عائم"¹، فاللغة ظاهرة اجتماعية، وأداة تواصلية تنقل ما في كنه المتكلم إلى متلقيه، فيختار المتكلم من تراكيبها ما يفي بغرضه، ويوصل رسالته، ويصور بيئته الاجتماعية، فهي تسهم في اتصال الفرد بغيره تفاهماً إنسانياً، ووسيلة عظيمة تعينه على تحقيق احتياجاته، فهي - منطوقة مسموعة أو منقوشة مكتوبة - رموز بيانية توصيلية رائعة تفوق غيرها من وسائل البيان²، فاللغة من أهم الروابط الاجتماعية؛ لأنها وسيلة للتعبير والتواصل، ورمز للهوية الفردية، والاجتماعية، والثقافية، وهذا ما أعلنته اليونسكو في مؤتمر (المكسيك 1981)، فأقرت فيه حق كل شعب في التمسك بلغته القومية بوصفها الرمز الأكبر لهويته الثقافية؛ لذلك أضيفت إلى ميثاق التنوع الثقافي وثيقة الحقوق اللغوية، وجاء في ديباجتها "إن اللغة ليست أداة للاتصال واكتساب المعرفة فحسب، بل هي أيضاً مظهر أساس للهوية الثقافية، ووسيلة لتعزيزها سواء بالنسبة إلى الفرد أو إلى الجماعة"³.

إن اللغة وسيلة من وسائل الاجتماع، وأداة من أدوات تنسيق الجهود لذا كانت " اللغة أخطر رابطة تاريخية تربط بين الأجيال من الشعب الواحد رباطاً يجعل وحدة هذه الأجيال حقيقة ملموسة على رغم اختلاف العصور؛ ذلك بأن اللغة وعاء التجارب الشعبية والعادات والتقاليد والعقائد التي تتوارثها الأجيال واحداً بعد الآخر، فصفة الاستمرار لكل هذا لا تأتي إلا عن طريق اللغة"⁴، فالإنسان لا يستطيع أن يُعَبَّرَ عمّا يدور في خلدّه من فكر أو مضمون ما لم يجد اللغة الدّالّة عليه، وكذلك لا يستطيع إنتاج اللغة -وسيلته

التعبيرية- ما لم يكن هناك فكر أو مضمون في ذهنه يحتاج إلى إبانة، يقول الدوز هكسلي (Aldous Huxley): "إن الثقافة البشرية، والسلوك الاجتماعي، والتفكير لا توجد في غياب اللغة"⁵؛ فلا حضارة إنسانية دون نهضة لغوية، فلا بناء للغة، ولا لكيانها بمعزل عن المجتمع الإنساني، ولا بناء للكيان الإنساني بمعزل عنها، وهذا يؤكد أن "اللغة ظاهرة إنسانية نشأت، وتطورت بتطور الإنسان ذاته، ونمت بنمو حضارته، وأنها قبل أن تكون كلمات، وأصواتاً، وصرفاً، ونحواً، ظاهرة اجتماعية فكرية، ونفسية، لا كيان لها إلا في ذهن الأفراد"⁶، فجوهرها -على رأي أوتو يسبرسن (Otto Jespersen)- نشاط إنساني⁷، وهي "أول مؤسسة اجتماعية، وهي ما يميّز الإنسان عن الحيوان، وما يميّز الأمم في ما بينها"⁸.

إن هذا القول يؤكد أن اللغة "لا توجد إلا بمقتضى نوع من التعاقد يكون بين أعضاء المجموعة البشرية الواحدة"⁹؛ فاللغة من حيث حقيقتها تتصل بالعناصر أو المكونات الأساس الأربعة للإنسان ألا وهي: الميدان الفيزيقي، والميدان العضوي، والميدان النفسي، والميدان الروحي، واللغة-من حيث وظيفتها-تحمل هذه الأربعة جميعاً على أن تتعاون فيما بينها تعاوناً فعالاً¹⁰، وهذه الصفة المعقدة التي تتصف بها الظواهر اللغوية تجعل تحديد الظواهر التي يشتغل بها علم اللغة - تحديداً دقيقاً - أمراً بالغ الصعوبة؛ فعلم اللغة يمتد في العصر الحديث بصلات وثيقة إلى علوم مختلفة، فهو يقتبس بعض طرائقها في معالجة الظواهر اللغوية المختلفة، لتحقيق فهمٍ أعمق لأسرار اللغة، والوصول إلى نتائج أكثر دقة ومصداقية، بما وصلت إليه هذه العلوم والدراسات الحديثة من حقائق ونتائج علمية¹¹. ولما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية وحضارية، كان من أهم العلوم التي اتكأ عليها علم اللغة الحديث في معالجة مسأله اللغوية هو العلوم الاجتماعية، وما وصل إليه البحث الاجتماعي، وقد أطلقت تسميات عدة على دراسة القضايا اللغوية في ضوء العلوم الاجتماعية¹².

أكد اللغويون العرب أن اللغة ظاهرة اجتماعية، فهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بثقافة الشعب الذي يتكلمها، فهي أهم مظاهر السلوك الاجتماعي، وأوضح سمات انتماء الفرد اجتماعياً، وأن كلمات اللغة ترتبط بدلالات تستعمل وفقها في تعاملنا اليومي¹³، فدراسة الألفاظ ودلالاتها على نحو دقيق لا تكون إلا في إطارها الاجتماعي والحضاري. والتَّغَيُّر اللغوي لا يُفسر تفسيراً كاملاً إلا في ضوء الظروف الحضارية، والاجتماعية، "وكل لغة تبدأ إنسانية؛ أي: أنها تعبر عن طبيعة الإنسان"¹⁴.

يقول سلامة موسى: "للكلمات إحياء اجتماعي للخير أو الشر، وكثيرٌ من الكلمات يحمل شحنة عاطفية انفجارية للشر مثل: كلمة (دم) في الصعيد، أو للخير مثل كلمة (مروءة) في

أنحاء العالم العربي، . . . ، وفي اللغة العربية كلمات مثل: المروءة، والبر، والشهامة، والفتوة، والمجد، وهي تُحَفُّ لغويةً يجب أن نقتنيها في بيوتنا، ونعتز بها، ونعرضها على أبنائنا، ونحدث عنها، وما أسماها من كلمات، كل منها بمثابة المؤسسة الاجتماعية التي تبعث الخير، وتعمم الشرف أينما وُجدت¹⁵.

إن هذه الدقة في اختيار الوحدة المعجمية في النصوص المختلفة هو ما يعرف في الدرس التداولي بالمواضعة اللغوية، حيث أدرك اللغويون العرب -بثاقب بصرهم- هذه الحقيقة قبل أن تدركه التداولية في العصر الحديث؛ فهم يرون ضرورة التحقق المواضعة اللغوية؛ لإنجاح الحدث اللغوي، وتحقيق هذه المواضعة بأن يتسالم المرسل والمتلقي على دلالة معينة للعلامة اللغوية، لأن "الاتفاق في الشفرة اللغوية شرط لنجاح التفاعل"¹⁶، فقرروا "أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وأنها شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها، وأن هذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بوساطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمون كلا منها (مقاما)، فمقام الفخر غير مقام المدح، وهما يختلفان عن مقام الدعاء، أو الاستعطاف، أو التمني، أو الهجاء، وهلم جرا، وكان من رأي البلاغيين أن لكل مقام مقالا، لأن صورة المقال تختلف في نظر البلاغيين بحسب المقام"¹⁷.

تمتد جذور دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع إلى تراثنا اللغوي القديم، فليس هذا العلم من ابتكار فترة الستينيات، فدراسة اللهجات أصيلة في التراث العربي، ومثلها الدراسات التي تتناول العلاقة بين معاني الكلمات والثقافات المختلفة، وهذه الدراسات كلها تقع في إطار علم اللغة الاجتماعي¹⁸، حيث يرى هدسون (Hudson) أن علم اللغة الاجتماعي هو "دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع"¹⁹، ويقول پول فابر وكريستيان: "إن علم الاجتماع اللغوي هو دراسة الوقائع اللسانية بوصفها علامات على الفوارق الاجتماعية"²⁰.

فعلى هذا ينبغي على المتكلم²¹ أن يعرف أقدار المعاني فيوازن بينها وبين أوزان المستمعين، وأقدار الحالات فيجعل لكل طبقة كلاما، ولكل حال مقالا، ويقسم أقدار المستمعين على أقدار الحالات، يقول الجاحظ: "كلام الناس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات"²²، فالحدث تفاعل لا يخضع لرغبة المتكلم فقط، بل لخصوصية المستمع كذلك، ووضعهما الاجتماعي والفكري²³، يقول شيشيرون (Ciceron): "إن الرجل البليغ يجب أن يقدم قبل كل شيء البراهين على حكمته، ويتكيف مع مختلف الظروف والشخصيات، أعتقد بالفعل أنه لا يجب أن يتكلم دائما بنفس الطريقة أمام الجميع، ولا

ضد كل شيء، ولا لصالح أي شيء، عليه-إذن-لكي يكون بليغا أن يكون جديرا بأن يجعل لكل مقام مقالا لغويا ملائما له"²⁴. لذا يرى مالينوفسكي (Malinowski)²⁵ أنه من الضروري أن نهتم بما هو أكثر من السياق المصاحب للنصوص، فمن الضروري ألا نهتم بما يحدث الآن فقط، بل نهتم كذلك بالخلفية الثقافية للمشاركين، ويعني بها كل التاريخ الثقافي الكامن في عقل المشاركين، والكامن في نوع النشاط الذي يمارسونه، لأن "أكثر الأشياء تحديداً ووضوحاً قد يكون له جوانب أو وجوه عدة، غير أن وجهاً، أو جانباً واحداً فقط، هو الذي يناسب متكلاً بعينه، أو موقفاً بالذات"²⁶.

تهتم الدراسات اللسانية الاجتماعية بمستويات اللغة المختلفة؛ لما لها من أهمية في قراءة الواقع الاجتماعي، ومعرفة البيئة الجغرافية؛ فيؤدي كل مستوى لغوي وظائف مختلفة في أفعال الفرد المؤكدة هويته، فقد يكون استخدام النطق دالا على الانتماء إلى أصل معين، أو الانتماء إلى مجموعة معينة²⁷، وهذا ما يراه السياق الثقافي، الذي يفرض على مستخدمي اللغة تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي تستخدم فيه الكلمة، فكلمة "(looking glass)" تُعدُّ في بريطانيا علامة على الطبقة الاجتماعية العليا بالنسبة لكلمة "(mirror)"، وكلمة "(rich)" بالنسبة لـ"(wealthy)"، وكلمة "(عقيلته)" تعد في العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة لكلمة "(زوجته)" مثلاً²⁸. لهذا "قد نستخدم الصرف والتراكيب والمفردات حتى نحدد مكانتنا الراهنة في المجتمع، مثل تحديد مقدار التعليم الذي تلقيناه"²⁹، فيصبح من السهل إدراك المستوى الثقافي باستخدام الوحدات المعجمية؛ لأن "انتقاء الوحدات المعجمية في تركيب بعينه يعكس عناصر مختلفة؛ استنادا إلى ماهية الوحدات المستخدمة، فأحدى هذه الوحدات قد تعكس -مثلا- رسمية الموقف، بينما تعكس الأخرى خبرة المتحدث، والمخاطب"³⁰.

يحرص عالم الاجتماع على إظهار الصلة بين تنظيم الرسائل المعين بالتحليل اللساني، والوجهة أو المستويات الاجتماعية للمرسل عينه، فلو نظرنا إلى أبعاد عبارة (كم الساعة) الاجتماعية نجدها تصدر بين صديقين، وعبارة (كم الساعة، لو سمحت) تُمثِّل طلبا من أقل إلى أعلى، وقد تحمل دلالة التواضع، من أجله "يركز عالم الاجتماع انتباهه على المتكلم كعضو في جماعة، وكشخص قد تميز لغته انتماؤه العرقي، ووظيفته، ومستواه الاجتماعي، وانتماءه الطبقي"³¹.

اشتراط الأسلوبيون على الكاتب حتى يستطيع توصيل ما يجول في فكره إلى المتلقي، أن يعرف مع مَنْ يتكلم، وما هو مستواه الثقافي، والاجتماعي، والفكري، حتى إلى حد ما مستواه المالي، فعندما يخاطب الكاتب شخصا ذا سلطة تختلف ألفاظه، وكلماته، ومفرداته،

بشكل مغاير تمامًا إذا كان يخاطب أحدا من أفراد الشعب، وكذلك عندما يخاطب العامل، يختلف عن المدير، أو صاحب الشركة، وينطبق ذلك على كل مستويات المجتمع، يقول الجاحظ (ت 255 هـ): "لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا ساقطا سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا إعرابيا، فإنَّ الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي"³².

إن ما اشترطه الأسلوبيون هو ما يعرف في الدرس الحديث بالكفاية التبليغية التواصلية، التي تعني "القدرة على استعمال اللغة في الأحوال الخطابية، والأغراض المختلفة"³³؛ لأن هذه الكفاية التبليغية تؤخذ من وسائل عدة: معرفية، ونفسية، واجتماعية، وثقافية، بناء على البنية الاجتماعية التي يعيش فيها المتكلم³⁴، ومن ثم تساعد هذا المتكلم على تنوع صور الخطاب بما يلائم المقام، ويعبر عن الأغراض المختلفة.

يقول هايمز (Hymse): "لكي تتواصل مع الآخرين لا يكفيك أن تعرف اللغة، ونظامها، بل أن تعرف -أيضا- كيف تستعملها في سياقها الاجتماعي"³⁵، فشرط "البلاغة والفصاحة حسن الموقع من نفوس الجمهور"³⁶؛ فالتحدث بأسلوب لا يتناسب والمستوى الثقافي أو الاجتماعي للمستقبل من أسباب فشل الرسالة؛ لأن كلام الإنسان مرهون بالجماعة التي يخاطبها، لذلك كان مرغما على أن يختار مما اصطلحت عليه تلك الجماعة، وإلا فإن رسالته ستسبى بالغموض، وعدم الدقة، لهذا يجب مراعاة جملة الظروف الحافة بالنص؛ لأن الخطاب يبسط ظلاله الدلالية على النسق اللغوي الذي يتشكل وفق الذات المتلقية، فالتركيب الخطابي-المشدد إلى حيثيات التخاطب أو سياق المقام-يلور وحداته اللفظية المشكلة النسق التركيبي بناء على مقام المتلقي، أو المتلقين الذهني، والنفسي، والاجتماعي.

إن مبدأ مراعاة المخاطب، والحديث بلسانهم، وبما يعرفون هو مبدأ رباني يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾³⁷، فتوافق اللسان بين المتخاطبين من أهم عناصر نجاح الحدث، وتبليغ الرسالة؛ لأننا إذا تحدَّثْنَا بِلُغَةٍ لا يعرفها الطرف الآخر، فلن نصل إلى أي شيء، حيث "يوجد عامل مهم للغاية في اختيار اللغة، وهو إجادة كلٍّ من المتحدث والمستمع اللُّغة؛ فعادةً يحاول المرء استخدام اللغة التي ستسهل على أفضل نحو في نجاح التواصل"³⁸.

على هذا المبدأ قالت العرب: خاطبوا الناس على قدر عقولهم، وقد روى البخاري تعليقا عن علي (عليه السلام) أنه قال: "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ"، ...³⁹، قال ابن حجر (ت 852 هـ): "بما يعرفون؛ أي: بما يفهمون"⁴⁰، وثبت في الصحيح "مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ"⁴¹. ونقل الجاحظ (ت 255 هـ) عن بعض أهل الهند: "ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم"⁴².

الفصل الثاني: بين الفصحى واللهجة

2.1. الفصحى.

جاء في الصحاح "رجل فصيح، وكلام فصيح، أي بليغ، ولسان فصيح، أي طلق. ويقال: كل ناطق فصيح، وما لا ينطق فهو أعجم"⁴³، وقال صاحب اللسان: "الفصاحة البيان، وتقول: رجل فصيح، وغلाम فصيح، أي: بليغ، ولسان فصيح، أي: طليق"⁴⁴، واللغة الفصحى هي "اللغة التي توافق المشهور من كلام العرب، وسلمت من اللحن، والإبهام، وسوء الفهم"⁴⁵.

يقول البرازي: "اللغة الفصحى لغة الكتابة التي تدون بها المؤلفات، والصحف، والمجلات، وشؤون القضاء، والتشريع، والإدارة، ويؤلف بها الشعر، والنثر الفني، وتستخدم في الخطابة، والتدريس، والمحاضرات، وفي تفاهم العامة إذا كانوا بصدد موضوع يمت بصلة إلى الآداب والعلوم"⁴⁶.

اللغة الفصحى أو العربية الفصحى المراد بها اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، فاللغة العربية إذن، هي لغة العرب، وبهم سميت، وعرفت، فأخذت تسميتها من اسمهم، يقول جواد علي: "اللسان الذي نزل به القرآن، هو اللسان العربي الفصيح الكامل الشامل ليكون بينا واضحا ظاهرا قاطعا للعذر مقيما للحجة دليلا إلى المحجة، وقد نزل محكما معربا؛ وذلك تمييزا لهذا اللسان عن ألسنة الأمم الأخرى التي نسبت إلى العجمة، فصارت ألسنتها ألسنة أعجمية"⁴⁷.

تتميز العربية الفصحى بتنوع الأساليب والعبارات، والقدرة على التعبير عن معان ثانوية لا تستطيع اللغات الغربية التعبير عنها، ولعل من أهم خصائصها ظاهرة الإعراب الذي أعطاهما خاصية المرونة، وجعل المتكلم يقدم في تعبيره، ويؤخر؛ تبعا لجزئيات المعنى،

فالمتكلم يرتب الكلمات تبعا لترتيب جزئيات المعنى في نفسه، فَعَدَّ أهلُ البلاغة "أدق الكلام تعبيرا ما كان ترتيبه في الاستعمال كترتيبه في النفس؛ أي: كترتيبه في الوجدان"⁴⁸، وهذا ملمح بارز في القرآن الكريم، جاء على لسان آسية بنت مزاحم ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾⁴⁹، قال ابن كثير (ت 774 هـ) في بيان سر تقديمها الظرف على المفعول به: "قال العلماء: اختارت الجار قبل الدار"⁵⁰؛ حيث قدمت عندك؛ للإشعار بأن محبتها للقرب من رحمته - تعالى - أهم من أي شيء آخر.

إن خصائص هذه اللغة الشريفة كثيرة، منها أنها لغة اشتقاقية، ولا تزاحمها في هذا لغة أخرى⁵¹، تقوم في غالبها على أبواب الفعل الثلاثي، والتي لا وجود لها في جميع اللغات الهندية والجرمانية، وقيمة الاشتقاق "أنه يمكنك من أن تعبر عن أدق الخلجات الوجدانية، مما لا يكون في اللغات غير الاشتقاقية، أو التي يقل فيها الاشتقاق كالإنجليزية"⁵².

أعطت العربية حروفها مئات الملايين من الشعوب، في بلاد الفرس والهند والترك⁵³، وقد "منح القرآن الكريم اللغة العربية قوة ورفقاً ما كانت لتصل إليه لولا القرآن الكريم، بما وهبها الله من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة، والأساليب العالية الرفيعة، فأصبحت بذلك محط جميع الأنظار، والاقتراس منها مناط العز والفخر"⁵⁴.

شهد للعربية بالدقة كثيرون من غير أبنائها كأرنست رينان، وجورج سارنوت، وبروكلمان، وغيرهم، يقول الشريحي: "مما لا شك فيه أن اعتراف أمثال هؤلاء، لا يقوي من وضع اللغة العربية أو يأخذ بيدها إلى الرفعة، وإنما ذكرنا أقوالهم لبنين أن الفضل ما شهدت به الأعداء"⁵⁵.

هذا وقسم السيوطي (ت 911 هـ) الكلام العربي من حيث درجة الفصاحة إلى ثلاث مراتب، وهي: أفصح، وفصيح، وأقل فصاحة؛ وذلك حسب الآتي:⁵⁶

أولاً: كلام الله، هو أفصح كلام عربي على الإطلاق، والمتمثل في النص القرآني المنزل، فالقرآن الكريم هو في أعلى مستويات الفصاحة بالإجماع، قال أبو عبد الله ابن خالويه (ت 370 هـ) في: "قد أجمع الناس جميعاً أن اللغة إذا وَرَدَتْ في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن، لا خلاف في ذلك"⁵⁷.

ثانياً: كلام رسول الله (ﷺ) هو أفصح العرب، ويتمثل في النصوص الحديثة المنقولة عنه باللفظ لا بالمعنى وحده، قال السيوطي: "أفصح الخلق على الإطلاق سيدنا ومولانا

رسول الله حبيب رب العالمين - جلّ وعلا - قال رسول الله: (أنا أفصحُ العرب)، وأصحابُ الغريب رَوَوْه أيضا بلفظ: (أنا أفصحُ من نطق بالضاد بَيِّدَ أني من قريش)⁵⁸، وقال ابن الأثير في (النهاية): "إن رسول الله (ﷺ) كان أفصح العرب لسانا، وأوضحهم بيانا. وأعدّهم نطقا وأسَدَّهم لفظا. وأبيّهم لهجة وأقومهم حُجة. وأعرَفَهُم بمواقع الخطاب، وأهداهم إلى طُرُق الصواب. تأييدا إليها ولُطفا سماويا"⁵⁹.

يأتي بعد كلام النبي (ﷺ) كلام قريش، وهي أفصح القبائل العربية، فقد رُوي عنه (ﷺ) قوله: "أنا أفصحُ العَرَب، بَيِّدَ أَني من قُرَيْشٍ"⁶⁰، وقد روي عن قتادة قوله: "كانت قريش تجتبي - أي: تختار - أفضل لغات العرب، حتى صار أفضل لغاتهم لغتهم، فنزل القرآن بها"⁶¹. وقد ذهب ابن عباس وآخرون في تفسير أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، أنه لسان قريش⁶² الذي تشكّل من جماع ألسنة العرب، لذا كان عثمان بن عفان (رضي الله عنه) يقول للرهط القُرَشِيِّينَ: "إذا اختلفتم أنتم زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنه إنما نزل بلسانهم"⁶³.

اتفق القدماء على أن لهجة قريش هي أفصح اللهجات العربية وأعلاها، وأنها اللغة التي سادت شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام؛ لأنهم "كانوا يحترمون لهجة قريش لمكان النبي (ﷺ) منها، جمعوا لهجتها، وتركوا ما سواها"⁶⁴، قال شوقي ضيف: "اللهجة الفصحى إنما هي لهجة قريش التي نزل بها الذكر الحكيم"⁶⁵، وما ذلك إلا لأن لغة قريش أسهل اللغات، وأعذبها، وأوضحها، وأبينها، وكانت تحتوي على أكثر لغات العرب. وقال السيوطي (ت 911 هـ): "أفصح العرب قريش"⁶⁶، مدعما قوله بما ذكره ابن فارس (ت 395 هـ) في باب القول في أفصح العرب، جاء فيه: "أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالّهم: أن قريشا أفصح العرب ألسنةً، وأصفاهم لغة، وذلك أن الله - جل ثناؤه - اختارهم من جميع العرب واصطفاهم، واختار منهم نبي الرحمة محمدا (ﷺ)"⁶⁷، وقال أبو نصر الفارابي في أول كتابه (الألفاظ والحروف): "كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعا، وأبينها إبانة عما في النفس"⁶⁸.

إلى هذا الرأي ذهب ابن خلدون (ت 808 هـ)⁶⁹ فلغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها، كانت لها السيادة على لغات القبائل الأخرى؛ حيث اجتمع لها ما لم يجتمع لغيرها، "فقد كانت مهوى أفئدة العرب في الجاهلية، وكان لها عليهم نفوذ واسع بسبب مركزها الديني الروحي والاقتصادي المادي؛ إذ كانت حارسة الكعبة بيت عبادتهم، وكانت

قوافلها تجوب أنحاء الجزيرة العربية، وكان العرب يجتمعون إليها في أعيادها الدينية وفي أسواقها القريبة والبعيدة"⁷⁰.

معنى هذا أن هناك أسباباً دينية واقتصادية وسياسية أعدت لهجة مكة لتسود اللهجات القبلية، ثم جعلت لغة قريش هي اللغة العالية، والمثل المحتذى لغير القُرَشِيِّينَ، فقد كانت قريش مع فصاحتها، وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم، وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طُبِعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب⁷¹؛ لأجل هذا "ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضع قيس، وعجرفية ضبة، وتلتله بهراء..."⁷².

ثالثاً: كلام القبائل الفصيحة الأخرى التي أخذ منها اللسان العربي كلام بقية القبائل العربية الأخرى، وهو أقل مراتب الفصاحة، يحفظ ولا يقاس عليه، قال ابن جني (ت392 هـ): "فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه"⁷³.

2.2. اللهجة.

جاء في اللسان "اللَّهْجَةُ وَاللَّهْجَةُ طَرْفُ اللَّسَانِ، وَاللَّهْجَةُ وَاللَّهْجَةُ جَرْسُ الْكَلَامِ، وَالْفَتْحُ أَعْلَى، وَيُقَالُ: فَلَانُ فَصِيحُ اللَّهْجَةِ وَاللَّهْجَةِ، وَهِيَ لُغَتُهُ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا فَاعْتَادَهَا، وَنَشَأَ عَلَيْهَا"⁷⁴. واللهجة (Dialect) في الاصطلاح العلمي الحديث⁷⁵ مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي على بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، فاللهجة طريقة الحديث التي يستخدمها السواد الأعظم من الناس، وتجري بها تعاملاتهم الكلامية⁷⁶.

تُمَثِّلُ اللهجة العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة، فهي عادة لغوية في بيئة خاصة تكون هذه العادة صوتية في غالب الأحيان، أو هي ضرب من التَّنَوُّع اللغوي العاكس لأنماط الحياة زماناً ومكاناً وحرقة، وصيغة وثقافة، ومناهج وسلوكاً في المجتمع المعين. حيث تُمَثِّلُ طريقة معينة في الاستعمال اللغوي، توجد في بيئة خاصة، من بيئات اللغة الواحدة، ومن صور الاختلاف في الاستعمال اللغوي ما يروى عن "الأصمعي قال: اختلف رجلان في الصَّقْرِ، فقال أحدهما: الصقر بالصاد، وقال

الآخر: السَّقَر بالسين. ففرضيا بأوّل وارد عليهما؛ فحكيا له ما هُما فيه، فقال: لا أقول كما قلنا، إنما هو الرَقَر"⁷⁷.

جاء في قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية "اللهجة مجموعة الصفات الصوتية التي تتصف بها منطقة من المناطق، وكثيراً ما تتضمن اللغة العامية الواحدة عدة لهجات متباينة"⁷⁸، فهي "طريقة معينة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة"⁷⁹، فبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم لهجات عدة، لكل منها خصائص، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات.

لم يستخدم اللغويون القدماء مصطلح اللهجة، بل استخدموا مصطلح اللسان واللغة، فقالوا: لسان قريش، ولسان تميم، ولسان أسد، ولسان هذيل، إلى غير ذلك، لذلك جاء في قول عثمان بن عفان (رضي الله عنه): "... فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنه إنما نزل بلسانهم"⁸⁰، وجاء في مقدمة طبقات فحول الشعراء، رواية عن أبي عمرو بن العلاء مفادها "قال أبو عمرو بن العلاء: ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا، فكيف بما على عهد عادٍ وثمودٍ مع تداعيه ووهبه"⁸¹. وجاء في النهاية في غريب الأثر قوله: "فكان اللسان العربي عندهم صحيحاً محروساً لا يتداخله الخلل، ولا يتطرق إليه الرّكل، إلى أن فُتحت الأمصار وخالط العرب غير جنسهم"⁸².

من الألفاظ الدالة على اللهجات عند القدماء مصطلح اللغة، وأهل الدراية يعرفون "أن لفظ (اللغة) يكون وقفاً في التداول العتيق للدلالة على ما تختص به القبائل من أنظمة تعبيرية متفرعة عن نظام الأداء اللغوي العام، وهكذا كانت عبارة (لغات العرب) مرادفة لقولنا (اللهجات العربية)، وكان يقال: لغة قريش، ولغة تميم، ولغة قيس، ولم يكن بذخاً ولا ترفاً أن اختار ابن منظور لمعجمه عنوان (لسان العرب)"⁸³. وقد عقد ابن جني (ت 392 هـ) باباً في الخصائص عنوانه: اختلاف لغات العرب وكلها حجة"⁸⁴، والمراد باللغات اللهجات، وعقد السيوطي (ت 911 هـ) باباً في معرفة مختلف اللغة"⁸⁵، فهو يقول: لغة قريش، يريد به لهجتها التي تنتمي إلى اللغة العربية.

إن جهات العربية كانت مختلفة، تحتوي على الفصيح، والأفصح، والرديء، والمستكره، وكانت القبائل العربية مُعتدّة ب لهجتها، ولّا شكّ أن لغات العرب متفاوتة في الفصاحة والبلاغة، يقول السيوطي (ت 911 هـ): "رتّبُ الفصيح متفاوتة، ففيها فصيحٌ، وأفصح، ونظيرُ ذلك في علوم الحديث تفاوت رتّبُ الصحيح ففيها صحيحٌ، وأصحّ"⁸⁶. وقد

وَحَدَّ القرآن الكريم العرب في لغة واحدة، يقول فيليب دي: "لقد أصبح المسلمون بقوة القرآن أمة متوحدة في لغتها ودينها وشريعتها وسياستها، ... ولولا القرآن لظل كل بلد من البلدان التي انضمت للإسلام ينطقون بلهجة يستعجمها أهل البلد الآخر"⁸⁷.

أشار اللغويون الأوائل وأئمة اللغة - في ثنايا درسه - إلى اللهجات وسموها لغات، وهي في نظرهم ما خالف المطرد من كلام العرب مما سموه شاذًا أو نادرًا أو قليلًا⁸⁸، وهي عندهم حجة - وإن كانت شاذة - والدليل على ذلك إجابة أبي عمرو بن العلاء عن سؤال من قال له: ماذا تفعل إذا خالفك العرب وهم حجة ؟ قال: "أعمل على الأكثر، وأسوي ما خالفني لغات"⁸⁹، وقد أنكر ابن حزم (ت 456 هـ) تفضيل لهجة على لهجة أخرى، فهو يرى أنه "قد توهم قوم في لغتهم أنها أفضل اللغات، وهذا لا معنى له"⁹⁰.

إن الازدواجية اللغوية ظاهرة شائعة في المجتمعات اللسانية، ولعل من أهم أسباب ظهور الازدواجية وتفرع اللغة الواحدة إلى لهجات يعود إلى انتشار اللغة في مناطق مختلفة وواسعة، واستخدامها لدى جماعات كثيرة العدد والطوائف المختلفة من الناس، وهذا التنوع اللغوي الحاصل في اللهجة هو ما يتعلق بمخارج الحروف، وكيفية نطقها، ووضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات، ومقياس أصوات اللين، وكيفية إمالتها، وكيفية التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض. فإذا تفشت هذه الصفات في بيئة جغرافية معينة وسمت لهجة أهل هذه البيئة بما يميزها عن سواها من لهجات البيئات المجاورة، وقد تَنَبَّسَ هذه السمات قليلا لتشمل بعض المفردات والتراكيب⁹¹.

عرف علماء العربية ظاهرة التداخل اللغوي بين لهجات العرب، فعقد ابن جني (ت 392 هـ) بابا في تركُّب اللغات، يقول فيه: "اعلم أن هذا موضع قد دعا أقواما ضعف نظرهم وخَفَّتْ إلى تلقِّي ظاهر هذه اللغة أفهامهم أن جمعوا أشياء على وجه الشذوذ عندهم وادعوا أنها موضوعة في أصل اللغة على ما سمعوه، ... واعلم أن أكثر ذلك وعامته إنما هو لغات تداخلت"⁹².

إن الواقف على السيرة النبوية، يجد النبي (ﷺ) كان يُخَاطَبُ العرب على اختلاف شُعُوبِهِمْ وقبائلهم وتَبَايُنِ بُلُوطِهِمْ وأفخاذهم وفصائلهم كلاً منهم بما يفهمون ويُحَادِثُهُمْ بما يعلمون، فكأنَّ اللَّهَ -عزَّ وجل- قد أَعْلَمَهُ ما لم يكن يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ من بني أبيه وجمع فيه من المعارف ما تَفَرَّقَ ولم يوجد في قَاصِي العَرَبِ وذَانِيهِ. ونقل ابن الأثير (ت 606 هـ) في مقدمة النهاية قول علي بن أبي طالب للنبي (ﷺ) - حين سَمِعَهُ يُخَاطَبُ وَقَدْ بَيَّ نَهْدَ - : يا رسول اللَّه

نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فقال: " أدبني ربّي فأحسن تأديبي، ورُبيتُ في بني سَعْد "93.

ذكر ابن جني (ت 392 هـ) في الخصائص هذا الاختلاف الحاصل بين لهجات العرب، يقول: "وبعدُ فلسنا نشك في بعد لغة حمير ونحوها عن لغة ابني نزار"94، وعقد الجندي في كتابه اللهجات العربية باباً في خلافاً لهجية في القبيلة الواحدة95، ووثّق الباحث السعودي سليمان بن ناصر الدرسوني في كتابه الإلكتروني (معجم اللهجات المحكية في المملكة العربية السعودية)، نحو ثلاث وعشرين لهجة داخل المملكة وحدها، لكل منها خصائصها ومفرداتها المميزة، وذكر مرتاض في حديثه عن العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، وأن هذه العامية الجزائرية "تختلف من جهة إلى جهة، بل أحياناً تختلف من قرية إلى قرية مجاورة لها، وهذه اللهجات تخضع لعوامل لغوية كثيرة، منها ما ينشأ عن الوراثة والطبيعة، ومنها ما ينشأ عن البيئة والجوار، ومنها ما ينشأ عن الاختلاف الناشئ عن اختلاف الجنس واللغة، والطبيعة الفيزيولوجية نفسها، فاللغات تتأثر وتؤثر، كما يتأثر ويؤثر الناطقون بها"96.

مع ذلك فإنه يصعب وضع حدٍ أدنى لمظاهر الاختلاف بين اللهجات؛ لأن عملية النطق ليست إلا نشاطاً عضلياً يختلف أدائه باختلاف أفراد البيئة اللغوية الواحدة، فالبيئة اللغوية الواحدة تتألف من لهجات عدة، فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة العام بالخاص؛ لأن اللغة تشمل لهجات عدة، إذ إن اللهجة طريقة معينة في الاستعمال اللغوي، توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة، لكل منها ما يميزها، واصطاح المحدثون على تسميتها باللغة، ويطلق المحدثون من علماء اللغة على الصفات التي تتميز بها كل لغة بالعادات الكلامية، ولذا قالوا: اللهجة هي العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة.

2.3. مظاهر اختلاف اللهجات.

يرى ابن جني (ت 392 هـ) أن مظاهر الاختلاف بين اللهجات ليس جوهرياً، وإنما اختلاف في الفروع لا في الأصول، وأن هذا الخلاف غير محتفل به يقول: "فإن قلت زعمت أن العرب تجتمع على لغتها فلا تختلف فيها، وقد نراها ظاهرة الخلاف، أفلا ترى أن الخلاف في (ما) الحجازية والتميمية، وإلى الحكاية في الاستفهام عن الأعلام فيه الحجازية، وترك ذلك في

التميمية، إلى غير ذلك، قيل: هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته، مختصر غير محتفل به، ولا معيج عليه، وإنما هو في شيء من الفروع يسير، فأما الأصول، وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه، ولا مذهب للطاعن به"⁹⁷.

لَا شَكَّ فِي أَنَّ أْبْرَزَ مَظَاهِرِ اخْتِلَافِ اللَّهْجَاتِ أَنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:⁹⁸

1- الاختلاف في جانب الأصوات.

2- الاختلاف في الجانب البنائي.

3- الاختلاف في الجانب الدلالي.

أولاً: الاختلاف في جانب الأصوات.

إن الذي يفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي، وهو أن يحل صوت محل صوت آخر، نحو: كشكشة ربعة، وهي عبارة عن إلحاقهم كاف المؤنث شيئا، أو تستبدل بها في حالة الوقف، فيقولون للمرأة: في مالك: مالش، فيقرون الكاف التي يدرجونها على هيئتها، ويبدلون الكاف التي يقفون عليها شيئا، يقول ابن جني (ت 392 هـ): "أما كشكشة ربعة فإنما يريد قولها مع كاف ضمير المؤنث: إِنْكَشْ، ورَأَيْتُكَشْ، وأَعْطَيْتُكَشْ، تفعل هذا في الوقف فإذا وَصَلْتَ أَسْقَطْتَ الشين"⁹⁹.

ذهب ابن جني (ت 392 هـ) إلى ضرورة التقليل من هذه اللهجات المخالفة للمشهور من كلام العرب، يقول بعد تمثيله على هذه اللهجات: "فإذا كان الأمر في اللغة المعوّل عليها هكذا وعلى هذا فيجب أن يقل استعمالها، وأن يتخير ما هو أقوى وأشيع منها، إلا أن إنسانا لو استعملها لم يكن مخطئا لكلام العرب، لكنه كان يكون مخطئا لأجود اللغتين"¹⁰⁰. وعدّها الصاحبي (ت 395 هـ)¹⁰¹، والمطرزي (ت 616 هـ) من الشواذ المذمومة، يقول "إبدال الشين في الوقف مكان كاف الضمير المكسورة في أعطيتش، وتسمى كشكشة ربعة، وكذا إبدال العين من الهمزة في (أعن ترسمت)، و(لله عن يشفيك)، وتسمى عنعنة تميم"¹⁰².

ثانيا: الاختلاف في الجانب البنائي.

أما الاختلاف في الجانب البنائي فهو يتصل ببنية الكلمة، أو قاعدة نحوية، أو صرفية، من أمثلة ما يتصل ببنية الكلمة "تَلْتَلَة بهراء، فإنهم يقولون: يَعْلَمُونَ، وتَفْعَلُونَ، وتَصْنَعُونَ، بكسر أوائل الحروف"¹⁰³، ومن هذا لغة الوكم في لغة ربعة، وهي عبارة عن كسر الكاف من ضمير المخاطبين المتصل إذا سُبِقَ بكسر أو ياء "وهم قوم من كُلب يقولون: عَلَيكُمْ وَبِكُمْ، حيث كان قبل الكاف ياء أو كسرة"¹⁰⁴.

من ذلك لغة الوهم وهو عبارة عن كسر الهاء من ضمير الغائبين المتصل مطلقا "في لغة كلب يقولون: مِنْهُمْ وَعَنْهُمْ وَيَنْهَمُ، وإن لم يكن قبل الهاء ياءً ولا كسرة" ¹⁰⁵، ومن هذا إضافة المدة الزائدة إلى يفعل، نحو ما جاء في "لغة لطيء نَظَرْتُ أَنْظُورُ" ¹⁰⁶، ونقل أبو الحسن ابن عصفور (ت 669هـ) عن أبي العلاء "أن زيادة (الواو) في نحو (أنظور) ليست ضرورة، وإنما هي لغة طيء" ¹⁰⁷.

من صور الاختلاف فيما يتصل بالقاعدة النحوية إلزام المثنى الألف، وهي لهجة بلحارث بن كعب وزيد، وبعض بني عذرة، ونسبها الزجاج (ت 311 هـ) إلى كنانة، وابن جني (ت 392 هـ) إلى بعض بني ربيعة، فهؤلاء كلهم يلزمون المثنى الألف، ويعربونه بحركات مقدرة عليها، وبه قرأ ابن كثير الآية: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾، وقرأ أبو سعيد الخدري: ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَانِ﴾ ¹⁰⁸.

من باب الاختلاف فيما يتصل بالقاعدة الصرفية ما جاء في اسم المفعول من الأفعال المعتلة العين بالياء، حيث تجيز تميم تجيز إثبات الياء، فتقول: ثمر مبيوع، وثوب مخيوط، و"عليه جاء (مديون) في لغة التميميين" ¹⁰⁹.

من هذا ما يروى أن بني أسد يقولون في سكرى: سَكْرَانَةٌ ¹¹⁰، جاء في الصحاح: "السكران: خلاف الصاحي، والجمع سكرى وسكارى. والمرأة سكرى. ولغة في بني أسد سكرانة" ¹¹¹.

ثالثا: الاختلاف في الجانب الدلالي أو المفردة.

أما أمثلة الاختلاف في مستوى المفردات أو الاختلاف المتصل بالجانب الدلالي فأمثلته في كتب اللغة كثيرة، نحو كلمة (ذو) بمعنى الذي في لغة طيء ¹¹²، وعلى لغتهم جاء المثل العربي: "أَتَى عَلِيَّهُمْ ذُو أْتَى" ¹¹³، وقد عنى علماء اللغة عناية خاصة ببيان اللغات الواردة في القرآن الكريم، فكان من أول الفنون اللغوية ظهورا ¹¹⁴، يقول ابن حسون (ت 386 هـ) في مقدمة كتابه اللغات في القرآن: "لغات القرآن موضوع جليل ذو شأن؛ عني به العلماء، وأهل النظر في اللغة منذ القرن الأول للهجرة، وألفوا فيه في القرن الثاني. فكان ممن ألف منهم الفراء، وأبو زيد، والأصمعي، والهيثم بن عدي، ومحمد بن يحيى القطيعي. ويذكر ابن النديم أن ابن دريد ألف كتابا في لغات القرآن - أيضا - وأنه لم يتممه" ¹¹⁵، وهي أمثلة تندرج تحت هذا الباب.

من هذا - للتمثيل - ﴿أَنْؤُمُنْ كَمَا آمَنَ السَّقْمَاءُ﴾ (13) والسفيه الجاهل بلغة كنانة. ﴿رَغْدًا﴾ (35) يعني الخصب بلغة طيء. وقوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ (55) يعني الموت بلغة عُمان. ﴿رَجْرًا﴾ (59) يعني العذاب بلغة طيء ¹¹⁶.

يُعَدُّ السيوطي من العلماء البارزين الذين اهتموا بهذه الظاهرة؛ فقد وضع بابا في معرفة الضعيف، والمنكر، والمتروك من اللغات¹¹⁷، وقد أشارت المعاجم اللغوية إلى الكثير من هذا الباب، للتمثيل:

- "الرُّلُقُومُ الحلقوم في بعض اللغات، والرُّلُقُومُ خُرْطُوم الكلب والسبع"¹¹⁸.
- المَهْجَرَس "أهل الحجاز يقولون: المَهْجَرَسُ القَرْدُ، وبنو تميم يجعلونه الثعلب"¹¹⁹.
- "الصفصف المستوي من الأرض، وجمعه صَفَاصِيفُ، . . . والصفصفُ الفَلَاةُ، والصُّفُفُفُ العُصْفُور في بعض اللغات"¹²⁰.

من اختلاف التضادِّ، قول جَمِيْرٍ للقائم (ثَبُ)؛ أي اقْعُدْ، "والوِثَاب: الفراش بلغة جَمِيْر. قال: وهم يسمّون الملك إِذَا كَانَ لَا يَغْزُو (موتَبَان) يريدون أن يطيل الجلوس ولا يغزو، ويقولون للرجل: ثَبُ؛ أي اجلس"¹²¹.

إن هذا التَّنَوُّع في الجانب الدلالي أدّى إلى وجود ظواهر لغوية عند العرب، مثل: المتضاد، والمترادف، والمشتراك، وهذا فنندريس حين يتحدث عن اللغة الفرنسية: "إننا نجد فروقا ذات بال بين قرية وأخرى، حتى يمكننا أن نُميِّز لهجة - كل قرية - منها بوصف مخالف لغيرها من حيث الصوتيات، ومن حيث النحو، ومن حيث المفردات"¹²²، ومع ذلك فإنه يصعب وضع حدٍّ أدنى لمظاهر الاختلاف بين اللهجات؛ لأن عملية النطق ليست إلا نشاطا عضليا يختلف أداؤه باختلاف أفراد البيئة اللغوية الواحدة.

2.4. أسباب ظهور العامية كمشكلة في العصر الحديث.

إن مصطلح العامية الذي يقابل مصطلح الفصحى في الدرس اللغوي يساوي في العرف اللغوي مصطلح اللهجة، وإن كلا من اللهجات العامية والفصحى من أصول عربية، فري فُصْحى مُحَرِّفة، كما قال بذلك كثيرٌ من أهل اللغة والعلم، ومنهم شوقي ضيف الذي ذكر في بحث له بعنوان (العامية فصحى مُحَرِّفة) ما نصّه: "الكثرة الغالبة في ألفاظ العامية المصرية ألفاظ فصيحة، أو ذات أصل فصح؛ إذ أغلب ما فيها من أفعال، أو أسماء، أو حروف، أو حركات أصله فصح، وعمّت فيه تحريفات سَجَلَهَا العالم الجليل المرحوم أحمد تيمور في معجمه"¹²³.

لا بدّ - من أجل ذلك - أن يجد الباحث بينهما شيئا من التشابه، ومقدارا احتفظت به هذه اللهجات الحديثة من صفات لهجية قبلية قديمة؛ لأنهما من صنع مجتمع عربيّ

اللسان والتصميم¹²⁴، يقول إبراهيم أنيس: "اللهجات الحديثة - وإن كانت قد تطورت في البيئات العربية المختلفة تطوراً مستقلاً باعد بينها، وصبغها بصبغة محلية في بعض ظواهرها - قد استمسكت بكثير من السمات التي عرفت عن القبائل القديمة"¹²⁵.

عرفت العرب قديماً هذه الازدواجية اللغوية بين الفصحى ولهجاتها المتعددة، لكنه ليس بمثل هذه الجِدَّة، ولا بمثل هذا الانحراف الذي يشهده اللسان العربي المعاصر الذي تخالطه اللغات الأجنبية، حيث ترجع جذور العامية الحديثة إلى بدايات الفتوح الإسلامية - كما يقول كايد¹²⁶ - حين دخلت أُمم كثيرة من غير العرب في الإسلام، أو خضعت لسلطانه، واضطرت إلى اصطناع لغته وتداولها، فتركت بفعل هذا الاصطناع والتداول أثرًا انحرافياً واضحاً في اللسان العربي الفصيح، شمل كل مستويات اللغة ومظاهرها، بدءاً بالتشكيل الصوتي، والصيغ، والتراكيب، وانتهاء بمظاهر الخطاب، والنص، وطرائق التعبير.

حافظت اللهجات العربية - قديماً - على تراكيب العربية الفصحى، وإعرابها، ومفرداتها، مع اختلافات يسيرة ذكرناها في المبحث السابق، أمّا العامية فتحتاج إلى ضبط، وإصلاح، وتوسيع، وإغناء الألفاظ الأعجمية، فالعامية تحررت من التقييدات، والأحكام اللغوية. يقول نهاد الموسى: "تُمَثَّلُ الفصحى والعامية في سياق اللغة العربية مستويين بينهما فرق أساسي حاسم، يتمثل في أن الفصحى نظام لغوي معرب، أما العامية، فقد سقط منها الإعراب بصورة شبه كلية"¹²⁷؛ لتنتقل العامية على سجيئها الكلامية لكونها اللغة المحكية بلا أحكام الصرف، والنحو، ولها الألفاظ الدلالية المنتقاة، وتفتقر العامية إلى ما لا يحصى من المصطلحات العلمية والفنية، والمفردات المستحدثة، ولاسيما مستلزمات التطور الحضاري والتقدم التكنولوجي¹²⁸.

تأتي الازدواجية اللغوية بين الفصحى واللهجة - كما يراها المسدي - على وجهين: "في بعض المجتمعات يزدوج الأداء اللغوي بحيث تحدث هُوَّة بين اللغة الرسمية التي هي لغة الفصاحة، ولغة الوقار، والجد، فتحتل مكانة الرمز العالي للهوية القومية، وبين اللغة التداولية التي يتوسل بها الناس في حياتهم. لكن اللغتين تظلان منتميتين إلى فصيلة تركيبية واحدة. أما في حالة الوضع اللغوي العربي فإن العاميات المتولدة من العربية قد فارقتها في أنظمتها الذاتية أصواتاً، وصيغاً، وتراكيب، ودلالات، ولكنها فارقتها في الوقت نفسه بأن خرجت من حظيرة اللغات الإعرابية، والتحقت بصنف اللغات غير الإعرابية"¹²⁹.

إن اللهجات العربية العامية هي الجانب المتطور للغة الذي يشمل البعد من اللغة الأم¹³⁰، وتُعَدُّ اللهجات بالعشرات بل بالمئات، وكلها اليوم لا ضابط لها من صرف، أو نحو، أو اشتقاق، أو تحديد لمعنى الألفاظ؛ لأنها كلام يستعمل في الأغراض المعاشية وفي

علاقات الناس بعضهم ببعض، فاللهجة العامية تُمَثِّلُ مستوى بعيد من اللهجة أو الفصحى؛ نظرا "لوجود الهجين اللغوي فيها، وما يلحق بذلك من احتكاكات جديدة تؤدي تارة إلى التعمية، وتنزل أحيانا إلى لغة السوق، وتختلف اختلافا بينا، بين منطقة وأخرى، .. ولا تفهم خارج المنطقة اللغوية التي تحاكيها"¹³¹.

يقول الجندي: "أما ما يسميه لغة عامية فليس إلا الألفاظ والعبارات التي يستعملها الكتاب والأدباء، فالعامية نستعملها ممزوجة بالأخطاء، ولها لهجات في الحركات عند التكلم تختلف باختلاف البلدان شرقا، وغربا، سهلا، ومدينة، وقرية، ولا قاعدة لهذه الأغلاط واللهجات التي تسير العامية بموجبها"¹³².

العامية كلام وقتي لا يثبت على مرور الأيام، وموضعي لا يتجول من قطر عربي إلى قطر عربي آخر، ومعناه أن اللهجات العامية لا يمكن أن تكون لغات علم، وأدب، وثقافة، وليس في مقدورها أن تعيش طويلا، وأن يَعمَّ بعضها أو كلها، الأقطار العربية كافة، وكل ما يكتب باللهجة عامية يظل محصوراً في قطره، وقلما يفهمه غير أبناء ذلك القطر أو غير طائفة من أبناء ذلك القطر؛ لذا فالعامية "فقيرة في مفرداتها، ولا يشمل متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي، وهي مضطربة في قواعدها، وأساليبها، ومعاني ألفاظها، وتحديد وظائف الكلمات في جملتها"¹³³.

إن العامية هي اللحن في القول، واللحن هو "صرف الكلام عن سننه الجاري عليه، إما بإزالة الإعراب، أو التصحيف، وهو المذموم، وذلك أكثر استعمالا"¹³⁴، وقد ذكر ابن خلدون عند حديثه عن فن التوشيح لدى الأندلسيين "ولمّا شاع فن التوشيح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وتصريح أجزائه نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله ونظموا على طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيه إعرابا واستحدثوا فنا سموه بالزجل والتزموا النظم فيه على مناحيم إلى هذا العهد فجاءوا فيه بالغرائب واتسع فيه للبلاغ مجال بحسب لغتهم المستعجمة"¹³⁵.

إن الدعوة إلى هجر العربية الفصحى والحديث بالعامية لا يقتصر على كون الفصحى أداة الثقافة الإسلامية فحسب، بل هي مقوم من مقومات شخصية الفرد والمجتمع - كما يقول الحوالي¹³⁶ - فليس غريبا أن يَشُنَّ المستشرقون عليها هجمات شرسة تتعلق بألفاظها وتراكيبها ومقدرتها على مسايرة العصر، فالدعوة إلى العامية هي دعوة إلى الفرقة، وفك وحدة الأمة، ونفي القواسم المشتركة بين هذه الأمة العظيمة، ولعله من هذا الباب أهملت اللهجات العربية القديمة، ولم توثق منذ عصور الفصحاة؛ حتى لا تكون دافعا للعصبية

القبلية التي قد تودي بوحدة، الأمة وقوتها، يقول الجندي: "إن المملكة العربية حينما اتسعت كان لا بد لضمات وحدتها، والقضاء على عوامل الفرقة فيها ألا تعطى اللهجات العربية من العناية ما قد يزيد من عصبية القبائل، ويباعد بينها؛ فأهمل أمرها"¹³⁷.

كان من أهم أهداف دعاة هجر الفصحى هو هدم القرآن؛ يهدم لغته، ليصبح كالإنجيل اللاتيني لا يقرؤه إلا رجال الدين، غير أن المؤسف حقا هو أن يتصدى لمقاومة العربية أناس يحملون أسماء إسلامية كانت الفصحى سبب بروزهم الفكري، ويكتبون بها سمومهم الرامية إلى إلغائها، ورموا العربية التي بها جاء الإسلام، وبها نزل نصه المقدس بأنها "تحمّل في كيانها بذور العنف، ومنابت البغضاء، فهي بذاتها عدوانية تسوّق الكره، وتحرّض على الإقصاء"¹³⁸، والمؤسف أن يُعدّ كلامهم جزءاً من التفكير الإصلاحي، وهدفاً من أهداف المصلحين.

يرى خبراء اللغة أن اللغة الفصحى تشهد انتكاسة لغوية، وتراجعا في كل مستوياتها، وقد كان رموز الثقافة العربية وخبرائها "يدعون إلى ضرورة الوعي بما تواجهه لغة الضاد من تحديات وتعيّيات، وما تشهده من تراجع يكاد حد الاغتراب على صعد شتى: تعليمية، وتربوية، وتقنية، وإعلامية، وإبداعية نتيجة لهيمنة اللغات الأجنبية والعاميات المحلية على العربية الفصحى"¹³⁹. وقد نبّه إلى ضعف اللغة العربية علماء العربية قديما، حيث ضجّ ابن منظور (ت 711 هـ) من شيوع اللحن في زمنه، مما دفعه إلى وضع معجمه، يقول: "لقد أصبح اللحن في الكلام يعد لحنا مردودا، وصار النطق بالعربية من المعايير معدودا، وتنافس الناس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير العربية؛ فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفتخرون"¹⁴⁰، وما زالت العربية تعيش حالة من التراجع والتقهر جيلا بعد جيل، فهذه هي "اللغة العربية ينحسر فضاؤها يوما فيوما، وإذا الذي تتركه من فراغ يهبط هدية سخية بين الأحضان إما تتلقفه اللغة الأجنبية، أو تتلقفه اللهجة العامية، وقد تتعاونان على تفاسمه"¹⁴¹.

لعل من أهم أسباب تراجع الفصحى، وظهور اللهجات، والحديث بالعامية يعود إلى التردّي الثقافي والعلمي الذي يلف أمتنا العربية، مما قاد إلى تقطيع الأواصر بين العربية ومتحدثيها في الاتصال الفكري والاجتماعي، وتولد من ذلك تفكك اجتماعي يتبعه تفكك لغوي¹⁴²؛ لأن "العامية تجلي أعراضا مرضية لا تعرفها الأمة في صحتها، وقوتها ووحدتها"¹⁴³، هذا ما أكده نبيل علي، فهو يرى أن أزمة اللغة العربية دليل على انتكاسة الأمة، وتبعيتها، يقول: "إن اللغة العربية تعيش أزمة لغوية طاحنة سببها هو العولمة الاقتصادية، وانهار الجماهير العربية بثقافة الغرب ولغاتها، وتدهور اهتمام الجماهير

باللغة العربية، وعدم اعتزازهم بها، وإلحاق أبنائهم بالمدارس الخاصة والجامعات الخاصة التي تعلم باللغات الأجنبية، والافتخار بذلك واعتباره نوعاً من الواجهة الاجتماعية، ودليلاً على التقدم الحضاري، وهنا تقوم اللغة العربية دليلاً شاهداً على الانتكاسة الثقافية للأمة في الوقت الحاضر¹⁴⁴.

يمكن تعليل أسباب تراجع حالة الأمة العربية إلى أمرين، هما:
الأول: الغزو الخارجي بأنواعه وأشكاله الذي يُفرض عبر وسائل مختلفة، في عصر فقد العرب فيه مكانتهم وفاعليتهم، وحضورهم.

الأخر: طبيعة العقل العربي والنفسية العربية، وهو أمر داخلي تكويني، يخص العرب أنفسهم بمكوناتهم الثقافية والفكرية والنفسية، فهو صراع يقبع في زاوية التحالف الخفي الصامت بين الكونية الثقافية في حربها اللغوي ونزعة العرب الجامحة نحو تلهيج الثقافة، وهذا معول يهدم الهوية الثقافية؛ لأن "تكريس اللهجة حاملاً للرسالة الثقافية بدلاً عن اللغة القومية لهو الانتحار الجماعي على عتبات قلعة التاريخ"¹⁴⁵.

دعا بعض المستشرقين والمستغربين - انطلاقاً من هذا المبدأ - إلى الحديث باللهجات المحلية فوجهوا سهامهم طاعنة نحو الفصحى¹⁴⁶، وكان للمستشرقين قصب السبق فقد ذكر أنور الجندي بعضاً منهم¹⁴⁷. ومن هؤلاء نللينو كتب دراسة عن عامية مصر، وسيانكو فسكي عن عامية المغرب وتونس، وإلياس برازين عن عامية حلب، وليوربال عن عامية الجزائر.

أشارت بعض الدراسات الحديثة إلى أن المستشرق الألماني ويليام سبيتا (William Spita) هو أول من تنبأ بموت العربية الفصحى، وكان متخصصاً باللغات الشرقية، وكان مديراً لدار الكتب المصرية، فكان من أشد الناس حملاً على العربية، وقد قضى جزءاً كبيراً من حياته في مصر لهذا الغرض، فنشر عام 1880 كتاباً باللغة الألمانية في (قواعد العربية العامية في مصر)¹⁴⁸، وفيه أشار إلى نبوءته السابقة، كما وقف إلى جانب العامية، متوقفاً لها أن تخلف الفصحى، ومضت دعوته دون أن تجد لها صدى قوياً.

من أشد الدعاة إلى إحياء اللهجات المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون (Louis Massignon)¹⁴⁹ زعيم الحركة الرامية إلى إحياء العامية، والكتابة بالحرف اللاتيني، إلا أن دعوة القاضي الإنجليزي سلدان ولمور الذي عاش في مصر تُعد من أبرز الدعوات إلى هدم اللغة الفصحى، فقد ألف عام 1901 م كتاباً أسماه (العربية المحلية في مصر)، ووضع فيه قواعد اقترح اتخاذها لغة للعلم والأدب، واقترح كتابتها بالحروف اللاتيني، قال في كتابه:

"ومن الحكمة أن تدع جانباً كل حكم خاطئ وجه إلى العامية، وأن نقبلها على أنها اللغة الوحيدة للبلاد"¹⁵⁰، وضع ولمور كتاباً آخر عام 1910م أسماه (لغة القاهرة).

من الدعوات إلى استخدام العامية في التأليف والكتابة دعوة مهندس الري البريطاني المستشرق ويليام ويلكوكس (William Cocks) عام 1926م، حيث نادى فيها إلى هجر العربية، وترجم الإنجيل إلى اللهجة المصرية، وزعم - في محاضراته التي ألقاها في نادي الأريكية بعنوان (لِمَ لَمْ توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن)، ونشرها فيما بعد في مجلة الأزهر - أن الفصحى هي التي أعاقَت المصريين عن إيجاد اختراعات حديثة، وَبَيَّن أن العامية وحدها تساعد على إيجاد ملكة الابتكار، وتنميتها، وأن سبب تقهقر المصريين هو عدم قدرتهم للتعبير الأفصح، وهذا رأي كثير من الدارسين¹⁵¹ الذين يرون "أن العامل الأكبر في فقد قوة الاختراع لدى المصريين هو استخدامهم اللغة العربية الفصحى في القراءة والكتابة"¹⁵².

من أهم أبناء العربية الذين رفعوا راية إحلال العامية محل الفصحى رفاعة رافع الطَّهطاوي، حيث أرسل إماماً لأول بعثة علمية إلى الغرب، وكان من أوائل من دعا إلى استعمال العامية، وتدوين قواعد لها، قال في كتاب أصدره عام 1868م سمَّاه: (أنوار توفيق الجليل من أخبار توثيق بني إسماعيل): "إنَّ اللغة المتداولة المُسمَّاة باللغة الدارجة التي يقع بها التفاهم في المعاملات السائرة لا مانع أن يكون لها قواعد قريبة المأخذ، وتصنف بها كتب المنافع العمومية، والمصالح البلدية"¹⁵³.

بدأت هذه الدعوات قوية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت بدايتها في مصر؛ نظراً لمكانتها العلمية والثقافية، وأصبح المسرح بالعامية، وسماه المنفلوطي لذلك: الملاعب الهزيلة¹⁵⁴، ولم يأت عام 1900م حتى صدرت سبع عشرة جريدة ومجلة في مصر عامية¹⁵⁵، وأخذت المجلات والجرائد تعنى بالتراث الشعبي وتخصص أبواباً ثابتة له، بل وصدرت مجلات خاصة به؛ لكي ينتشر بين الناس، ويدون بعد أن كان شفهيًا، وهذه "الأدب الشعبية امتداد للدعوة إلى استبدال اللهجات المحلية مكان اللغة الفصحى"¹⁵⁶.

كتب أحمد لطفي السيد عام 1913 سبع مقالات في موضوع تمصير اللغة العربية، ونشرها في صحيفة الجريدة، وذهب فيها إلى أن الطريقة الوحيدة لإحياء اللغة العربية هي إحياء لغة الرأي العام من ناحية، وإرضاء لغة القرآن من ناحية أخرى، وذلك باستعمال العامية في الكتابة، فهو يرى أن "سبب تراجع الأمة العربية تمسكها بالتشديد والتنوين"¹⁵⁷. قال أدونيس: "إنني عدو للفصحى ذاتها، وأعتبر التمسك بها سبباً أساسياً ومباشراً لما يبدو من مظاهر التخلف عن الشعوب الغربية بلا استثناء، أنا على يقين تام من أن دعوتي

إلى الحرف اللاتيني واللهجات العامية سوف تنتصر لا محالة، وستأخذ بها جميع شعوب آسية وأفريقية"¹⁵⁸.

دعا لويس عوض - عام 1947م - إلى كسر رقبة البلاغة العربية، وإلى الكتابة بالعامية¹⁵⁹، إلا أن من أخطر الدعوات التي وجهت للغة العربية تحت ستار تيسير الكتابة العربية دعوة عبد العزيز فهدى أحد الأعضاء البارزين في مجمع اللغة العربية في القاهرة، فقد قدم للمجمع سنة 1944 مشروعاً ينطوي على الكتابة العربية بالحروف اللاتينية¹⁶⁰، ودعا أنيس فريجة إلى هجر العربية، الذي "لم يَرُضَ بأن تكون العامية اللغة المعتمدة بل يدعو إلى كتابتها بالحروف اللاتينية لتكون لغة رسمية للعرب؛ لأن الحرف العربي لا يصلح لتدوين اللهجة العامية"¹⁶¹، ووضع فريجة - عام 1955 - كتاباً سماه (نحو عربية ميسرة)، دعا فيه إلى أن يصبح لنا لغة واحدة هي لغة الحياة، معتبراً أن الفصحى لغة أجيال مضى عهدها، وهي بالتالي عاجزة عن أن تعبر عن الحياة، بخلاف العامية؛ فهي - كما يزعم - لغة حية متطورة نامية تتميز بصفات تجعل منها أداة طيّعة للفهم والإفهام¹⁶²؛ لأن "الفصحى ليست لغة الكلام؛ لأنها لا تعبر عن الحياة بحلاوتها وقسوتها كما تفعل العامية"¹⁶³، ودليله على ذلك أننا لا نستطيع التعبير بواسطة الفصحى، بالطلاقة نفسها التي نعبر فيها بواسطة العامية عما نريد، وكتب فريجة مقالة عنوانها (هذا الصرف وهذا النحو أما لهذا الليل من آخر؟)، سخر فيه من قواعد العربية، ودعا إلى تركها¹⁶⁴.

يُعَدُّ سلامة موسى ممن دعا إلى استخدام الحروف اللاتينية، ونادى إلى هجر الفصحى، واصطناع العامية في الكتابة والتعليم، ويرى أنه لا داعي إلى تعلم قواعد النحو، والإعراب، والاستعارات، والمجاز؛ لأن الهدف - كما يقول - الفهم؛ "لهذا السبب يجب أن نقتصر من تعليم اللغة العربية في مدارسنا الابتدائية على تمكين التلميذ من المطالعة والفهم بلا حاجة إلى أية قواعد خاصة بالنحو، وليس عليه من حرج أن يقرأ ويرفع المفعول، وينصب الفاعل ما دام يفهم ما يقرأ"¹⁶⁵، ويقول في موضع آخر "أما في المدارس الثانوية فنشرع في تعليم أقل ما يستطيع من قواعد النحو ولا نبالي بالإعراب الذي أثبت الاختبار أنه لا فائدة منه بتاتاً؛ لأننا قلنا - كما قلنا - نقرأ أو نكتب دون أن نحتاج إليه والوقف في أواخر الكلمات، ...، وهنا تدخل البلاغة، ونعني بلاغة المنطق اللغوي؛ للتمييز بين الكلمات من حيث الدقة والاقتصاد في التعبير، وليس من حيث ألعيب الصغار عن الاستعارات والمجازات"¹⁶⁶.

ادّعى موسى في كتابه البلاغة العصرية واللغة العربية أن أعظم أسباب تخلف الأمة العربي هو اللغة؛ لأننا قيدنا لغتنا بخُرُوف تمنعها هي من التعبير العلمي؛ أي تمنعنا نحن من الرقي¹⁶⁷، وأن الفصحى قد أحدثت في الناس مزاجاً أدبياً اجتماعياً، وهو النظر إلى الماضي، ومحاولة استرداد الأُمس، والبلد، والتجمد، دون اهتمام بالمستقبل وبمشكلات العصر، فالكفاءة موجودة ولكن اللغة العربية - كما يقول - بسبب هجائها الحاضر ليست كفاءاً للتعبير¹⁶⁸؛ لذا "لن يكون في بلادنا نهضة علمية، ولن ترقى الصناعة إلا حين تتخذ الحروف اللاتينية؛ أي لن تستعرب العلوم؛ إلا إذا استلتن الهجاء العربي"¹⁶⁹، فاتخاذ الخط اللاتيني هو وثبة في النور نحو المستقبل، يقول: "والواقع أن اقتراح الخط اللاتيني هو وثبة إلى المستقبل، لو أننا عملنا به لاستطعنا أن ننقل مصر إلى مقام تركيا التي أغلق عليها هذا الخط أبواب ماضيها، وفتح لها أبواب مستقبلها"¹⁷⁰، ومما جاء في خلاصة كتابه، قوله: "لغتنا العربية كثيرة القواعد والشذوذات والكلمات المترادفة أو المشتبهة، وهي تحتاج من الوقت لتعلمها نحو ثمانية أو عشرة أمثال الوقت الذي تحتاجه اللغة الإنجليزية"¹⁷¹.

إن مثل هذه الدعوات لم تكن مقصورة على مصر وحدها فقد أصدر مارون غصن كتاباً سماه (درس ومطالعة) تنبأ فيه بموت العربية الفصحى، داعياً إلى الكتابة بالعامية السورية¹⁷²، وهذا أسكندر معلوف اللبناني أنفق وقته في ضبط أحوال العامية، وتقييد شواردها؛ لاستخدامها في كتابه العلوم؛ فهو وجد أسباب التخلص في التمسك بالفصحى¹⁷³، ونشرت (الهلال) سنة 1902م مقالة دافع فيها عن اللهجات السوقية، وقال: "إنه يشغل بضبط أحوالها وتقييد شواردها؛ لاستخدامها في كتابة العلوم"¹⁷⁴. وقد أكد هذا المقال أن اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة هو من أسباب تخلفنا الثقافي.

سار على نهجه ابنه عيسى معلوف، يقول: "إن اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة هو أهم أسباب تخلفنا، ... رغم أنه من الممكن اتخاذ أي لهجة عامية لغة للكتابة؛ لأنها ستكون أسهل على المتكلمين بالعربية كافة. ولي أمل بأن أرى الجرائد العربية وقد غيرت لغتها، وهذا أعده أعظم خطوة نحو النجاح وهو غاية أمني"¹⁷⁵.

إن هذه الدعوات التي شنت على العربية لو قصد منها تيسيرها وإيضاحها كما فعل المتقدمون من العلماء وكثير من المحدثين لكان ذلك صواباً، ولكن النية السيئة هي مطيئة القوم؛ حيث "تمثلت في قطع الصلة بين مستقبلنا وماضيها، وحرمان أجيالنا القادمة من الاستفادة من تراث أجدادهم"¹⁷⁶. لذلك واجهت اللغة العربية منذ القديم وما زالت تحديات كثيرة، وما ذلك إلا لأنها لغة القرآن الكريم، ومن المعلوم على رأي صموئيل هنتغتون "أن اللغة والدين هما العنصران المركزيان لأي ثقافة أو حضارة"¹⁷⁷، ولكي يصل هؤلاء إلى

مرادهم؛ وصموا العربية بالجمود والتعقيد، والصعوبة، فرأوا أن "الفصحى قاصرة عن الوفاء بمطالب الخلق المتجدد والإبداع، وبالعجز تبعاً لذلك، عن مواجهة مقتضيات التحديث والحضارة"¹⁷⁸.

هذه هي حجج أعداء اللغة العربية في كل حال لا تتجاوز الكلام عن صعوبة تعلم اللغة العربية من ناحية، والقول بعجزها عن تأدية أغراضها الأدبية من ناحية أخرى¹⁷⁹، لذا وجب علينا أن ندرك أن "الأمن اللغوي جزء لا يتجزأ من الأمن القومي، ولا يقل أهمية عن الأمن الغذائي، أو الأمن المائي"¹⁸⁰، حيث "اتخذ الهجوم التدرج دعوةً إلى العامية ثم الحرف اللاتيني؛ فلما لم ينجحوا في ذلك دَعَوْا إلى إصلاح العربية؛ والقصد هو الإفساد؛ فلما سقطت دعوتهم فُتِحَ البابُ لإفساد الذوق السليم، وشُجعت الآداب العامية"¹⁸¹.

لخص المسدي المشكلة التي تواجه اللغة العربية في ثلاثة مظاهر:¹⁸²
الأول: سيطرة اللهجات العامية.

الثاني: هجر الفصحى إلى اللغات الأجنبية.

الثالث: ركافة اللغة العربية المتداولة في بعض الوسائل الإعلامية، أو التجارية، ولا سيما الإعلانات، ولافتات المحال التجارية، ناهيك بلغة التواصل الإلكتروني.

كل هذا الصياح إلى إحلال العامية محل الفصحى وإن تسلط بقوة على لغة الكلام والخطاب الشفوي، وأبعده عن الفصحى وقواعدها "إلا أنه قد فشل فشلاً ذريعاً في تغيير لغة الكتابة أو استبدالها، بالرغم من كل المحاولات والادعاءات والدعوات التي كانت ترتفع منادية ومطالبة بتغيير قواعد الكتابة والخط، واستبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي"¹⁸³. فمن أمعن النظر في اللغة العربية وقارنها باللغات الأخرى، تملكه العجب من فصاحة مفرداتها وعذوبة ألفاظها، وجزالة تراكيبها، ورقة عباراتها، وقدرتها على التعبير والتوليد وقابليتها للنماء والتطور، وحسبها - كما يقول شحادة الخوري في بحثه التعريب والمصطلح¹⁸⁴ - أن تكون لغة القرآن الكريم بجلال معانيه، وبلاغة بيانه، وهو الذي زادها غنى ووسع لها في الأرض امتداداً، وفي الزمان بقاء، ثم استطاعت أن تكون وعاء المعرفة البشرية قروناً متطاولة، ولا يشك في أنها قادرة على أن تكون لغة المستقبل بعلومه وآدابه وفنونه، محتفظة بعالميتها التي اكتسبتها منذ خمسة عشر قرناً إلى آخر الزمان.

الفصل الثالث: اللغة والفكر.

اللغة - بلا منازع - أوضح خصائص الجنس البشري، فهي تميزه عن غيره من المخلوقات، وتدلل على طبيعته الفريدة، وتؤكد حقيقة وجوده في الذروة العليا لمرتقى الكائنات الحية، وتعكس جوانب حياته، وقواعده الاجتماعية، وسلوكه، ومعتقداته، وقيمه، وعاداته، وتقاليده، فكل اللغات "تعبّر عن الجانب المادي في الحياة، وعن الجانب الإنساني في الإنسان على تفاوت؛ لأن اللغة هي ترجمان واقع الحياة، بجانبها المادي والإنساني"¹⁸⁵، فهي "مكون أصيل من مكونات هوية الأمة، ورمز خالد لانتماء أبنائها، وهي التي تُمَثِّلُ ذاكرتها الثقافية والحضارية، وقد أسهمت من خلال حركة الترجمة المتبادلة في إغناء قيم الحوار والتقارب بين الشعوب"¹⁸⁶.

إن اللغة عند اللغويين نظام من الرموز المختلفة التي تُشير إلى أفكار مختلفة، وهي مجموعة المصطلحات التي تتخذها هيئة المجتمع بأكمله؛ لإتاحة الفرصة أمام الأفراد لممارسة ملكاتهم، أو هي مجموعة من الصور اللفظية تُخزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية؛ لتفاهم بين أبناء مجتمع معين، وهي ترتبط بالنماذج الثقافية؛ لأنها غير مفصولة عن الفكر الإنساني؛ فهي منهج للتفكير، ونظام للاتصال والتعبير، فثقافة كل مجتمع كامنة في لغته، وفي معجمها، ونحوها، وصرفها، ونصوصها، وفنها، وأدبها، فاللغة هي صورة صادقة لحياة الناطقين بها، يقول سلامة موسى: "الفرنسيون معروفون بالمنطق، والوضوح، والدقة في تفكيرهم؛ واعتقادنا أنّ هذه صفات لغتهم أكثر مما هي صفات أذهانهم، فإنهم من حيث السلالة لا يختلفون عمن حولهم من الأمم الأوروبية، ولكن اللغة الفرنسية تحتوي على كلمات وعبارات في غاية الوُضُوح والدقة بحيث إن المعنى يَبْزُرُ بأكثر مما في أية لغة أخرى"¹⁸⁷.

لا يكاد ينكر أحد محورية اللغة في الإبداع المعرفي؛ لأنها تحمل الفكر الإنساني، وترجم ثقافته، ومشاعره، وهويته الوطنية، ولا يمكن للفكر الإنساني أن يتجلى إلا من خلال التتابع اللغوي، وفق عملية خلاقة تسهم في توضيح المعرفة والكشف عنها، وترسم شخصية متحدثها، فاللغة "ظاهرة سيكولوجية اجتماعية، ثقافية مكتسبة لاصقة بيولوجية ملازمة للفرد"¹⁸⁸، تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق اختيار معاني مقررّة في الذهن، وهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل، فاللغة ليست مجرد نظام لتوليد الأصوات الناقلة للمعنى، فهي "مرآة العقل، وأداة الفكر، ووعاء المعرفة، والهيكّل الحديدي الذي يقيم صلب المجتمعات الإنسانية"¹⁸⁹.

تُمثِّلُ اللغة الجسر الواصل بين الأفراد، فهدم أي مجتمع يبدأ بالقضاء على اللغة؛ لأن اللغة - كما قال جليبر كونت - هي الهوية الوطنية، إنها الوطن الحي المتدفق الذي يسكن قلب كل واحد منا¹⁹⁰، وفي هذا يقول ميشيل فيشاي: "إنك إذا سلبت البلاد عنوان انتمائها الوطني، وهو اللغة فكأنك سلبت من كل فرد عنوان ذاتيته"¹⁹¹.

يذكر المسدي في هذا الباب أن رئيس الحكومة الاشتراكي ليونال جوسبان حين حاول الاعتراف باللغات المتداولة على أرض فرنسا - غير اللغة الفرنسية - ثار عليه وزير الداخلية سوفانمون قائلًا: "إن الاعتراف باللغات الأخرى هو بمثابة إعلان الحرب على هويتنا، وسيفضي ذلك إلى بلقنة البلاد"¹⁹².

من هذا المبدأ أَيْدَ خبراء اللغة قرار القمة العربية التاسعة عشرة المنعقدة في الرياض بتاريخ 29 / مارس / 2007 حول دور اللغة العربية في التعبير عن الإرث الحضاري وتطوير العمل العربي المشترك¹⁹³، وقرار مؤتمر القمة العربية العشرين المنعقدة في دمشق بتاريخ 29 - 30 / مارس / 2008 الذي شَدَّدَ على دور اللغة العربية في الحفاظ على الهوية تداركا لتأثير الضعف اللغوي في عملية التنمية الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية¹⁹⁴، كون اللغة تجسِّدُ الهوية، وتُشَكِّلُ العامل الأساس في تكوين الأمة، فهي "مرآة الشعب، ومستودع تراثه، وديوان أدبه، وسجل مطامحه، وأحلامه، وأفكاره، وعواطفه، وهي فوق هذا وذاك رمز كيانه الروحي، وعنوان وحدته، وتقدمه، وخزانة عاداته، وتقاليدته"¹⁹⁵.

يقول الفيلسوف الألماني ليبنتز (Leibnitz): "اللغة عبارة عن مرآة للعقل"¹⁹⁶، وهذا يعني أن اللغة عظمة الرقي، تعكس الإنجازات الفكرية لمتكلميها، وتعززها، وأن تعليم اللغة يعني تعليم التفكير، لأن "التاريخ لم يسجل نهضة علمية لشعب من الشعوب بغير لغته الوطنية"¹⁹⁷، لهذا يرى مالينوفسكي (Malinowski) أن المفردات اللغوية في أي مجتمع من المجتمعات هي المرآة الصادقة التي تعكس صورة واضحة لما عليه أفراد هذا المجتمع من ثقافة، ونظم، وعادات، وتقاليد، واتجاهات¹⁹⁸.

تشبه اللغة القاموس الذي يمثل في الأصل الذاكرة الجماعية، واكتشافها يعني اكتشاف عالم جديد¹⁹⁹، لذا يقول محمد الخضر: "اللغة ما يخطر في الفكر من المعاني، وهي التي تجعل المعاني محفوظة باقية، ولا تقتصر اللغة على نقل ما يجري في أقوال الأجيال الماضية من المعاني الحيوية، أو الآراء العلمية أو الأدبية، بل تنقل إلينا طرق تفكيرهم، ومن الواضح أن الأقوام يختلفون في طرق التفكير، وطرز تفكير كل قوم مبثوث في ألفاظهم، ومدلول عليه بأساليب مخاطباتهم"²⁰⁰.

إن الثقافة هي مجموع القيم التي ارتضتها الجماعة لنفسها، لتمييزها عن غيرها من الجماعات، فإن اللغة هي وعاء الثقافة، ومظهرها الخارجي الذي يميزها، وقد طال النقاش بين المدارس اللغوية في العلاقة بين اللغة والفكر؛ فظهرت فيها ثلاثة اتجاهات:²⁰¹ الاتجاه الأول يمثل السلوكيون الذي يرون أنه لا يوجد فرق بين اللغة والتفكير، فهما شيء واحد، وهذا ما انتهى إليه واطسون (Watson) مؤسس السلوكية القديمة²⁰²، الذي يرى أن التفكير هو اللغة؛ بناء على ذلك فإن التفكير عبارة عن تناول الكلمات في الذهن، أو أن التفكير عبارة عن عادات حركية في الحنجرة، أو هو حديث داخلي يظهر في الحركات قبل الصوتية لأعضاء الكلام؛ أي: أن التفكير كلام ضمني.

الاتجاه الثاني يمثل علماء النفس، وهم يرون الفصل بين اللغة والتفكير، كعالم النفس السويسري جان بياجيه (Jean Piaget) صاحب النظرية الذهنية المعرفية في التعليم، فهو يرى أن نمو الذكاء يتم على قدر المساواة مع النضج اللغوي، فبدون اللغة اللفظية التي تصبغ التفكير بالصبغة الاجتماعية، من المستحيل نضج ذكاء الطفل بصورة كاملة²⁰³.

من أنصار الاتجاه الثاني عالم النفس الروسي فيجوتسكي (Vygotsky)، القائل: "إن تدفق التفكير لا يصاحبه ظهور متزامن للكلام، فالعمليتان ليستا متماثلتين، ولا يوجد تطابق جامد بين وحدات التفكير، ووحدات الكلام"²⁰⁴، ويرى فيجوتسكي أنه لا يمكن فهم العلاقة بين التفكير والكلام من دون فهم واضح لطبيعة الكلام النفسية، فهو يميز بين مستويين للكلام:

الأول: المستوى الدلالي الداخلي المتصل بالمعنى.

الأخر: المستوى الصوتي الخارجي.

يرى أن هذا التمييز لا ينفي الوحدة بينهما، ويؤكد أنها ليست وحدة تجانس، وإنما هي وحدة تركيب. ويتحرك هذان المستويان في اتجاهين: فمن ناحية الكلام الخارجي يتقدم الطفل من الجزء إلى الكل، فهو يبدأ بكلمة واحدة، ويتجه نحو الجمل، وهذا الكلام يكون للآخرين. أما من المستوى الداخلي من جهة المعنى، فهو يكون للذات، ويسير في الاتجاه المعاكس. فكلمة الطفل الأولى تُمَثِّلُ جملة كلية، ثم يأخذ في التمكن من الوحدات الدلالية المنفصلة.

أما الاتجاه الثالث فيرى أصحابه أن اللغة والتفكير مترابطان ارتباطاً وثيقاً؛ فاللغة - عندهم - هي الوعاء أو المظهر الخارجي الذي يُقَدَّمُ من خلاله الفكر، وهم يؤمنون أن ما يدور بخلد الإنسان يمكن التعبير عنه بأكثر من وسيلة، كالرسم بالألوان، أو الموسيقى،

إلا أن اللغة هي أكثر الأدوات شيوعاً في التعبير عن الأفكار، بل هي أكثرها دقة، وشمولاً، ومباشرة، فهي أداة فهم المعاني، ونقل الأفكار بين الناس، والقصد منها هو البيان عما في الأذهان، والإفصاح عن المقاصد والأغراض²⁰⁵، فربما لا يمكن أن يحدث التبليغ أو الاتصال من خلال الكلام بين متكلمين من لغتين مختلفتين؛ لأنه ليس هناك ارتباط حتمي بين الأصوات المتكلمة وما تدل عليه هذه الأصوات حتى لو كان الشيء المعبر عنه متماثلاً في كلتا اللغتين.

إن الناظر في تراثنا العربي يلمح أن عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) قد أسَّسَ لما طرحه فيجوتسكي (Vygotsky)، حيث يقرر عبد القاهر (ت 471 هـ) "أن نظم الألفاظ لصياغة جملة لا يأتي عشوائياً، فهو يأتي نتيجة لترتيب معانيها في العقل، وتناسقها فيه"²⁰⁶، فلا تُنظَّم الألفاظ في جملة من حيث هي ألفاظ وبمعزل عن دلالاتها، وإنما تُنظَّم بمراعاة تلك الدلالات؛ أي: أن النظم يكون بين المعاني لا بين المباني.

إن الأفكار المطروحة في حوار معين تبنى على سياقات مختلفة، فيجب ألا يلغي المخاطب طبيعة المتحدث التكوينية، فاللغوي شأنه شأن أي كاتب، لا ينسلخ من آثار خلفيته الثقافية، ومعتقداته الدينية، واتجاهاته الفكرية، فثمة اختلاف بين المتكلمين في اختيار المعاني، وترتيب الأفكار، والقوالب اللفظية؛ باختلاف اعتقادهم تجاه القيم الثقافية، والأعراف الاجتماعية²⁰⁷، فلا بد أن يكون الباحث على بينة من أصول المذهب الفكري لكل لغوي أو بياني يريد أن يدرس آثاره، وأفكاره، ويعرف البواعث التي دفعته إلى أن يختار هذا القول، أو ذاك في كل ما تناوله من قضايا اللغة والبيان²⁰⁸.

إن أثر الثنائية اللغوية والازدواج اللغوي كبير في واقع الهوية، ومناخ الثقافة، وطُمُس هوية المجتمع، وقد أعلنت رويترز (Reuters) في مقال نُشر في ٢٤ يونيو عام 2008 "أن الأشخاص ثنائيي الثقافة الذين يتحدثون لغتين قد تتغير شخصيتهم دون وعي؛ عند تغيير اللغة التي يستخدمونها"²⁰⁹.

نعم قد لا نشعر بها، لكن هذا الخطر سيطفو مع الجيل الذي سيأتي منسلخاً من قيمه، ومُتكرراً عادات أمته، ورافضاً هوية قومه، معترساً بغيرها، لاهثاً وراء اللغات الأجنبية دون أن يقف على أساس قوي من لغته، وهذا ما قاله باري ماكلوكلين (Barry McLaughlin) عام ١٩٧٨ "تُعدُّ في الولايات المتحدة الأحادية اللغوية هي القاعدة، وقد كانت الثنائية اللغوية تُعدُّ وصمةً عار، وعائقاً اجتماعياً. ولا علاقة لهذا العداء تجاه الثنائية اللغوية باللغة في حدِّ ذاتها؛ فهذا العداء ليس موجَّهاً لِلُّغة بل لِلثقافة، فيعبر

الشخص الثنائي اللغة عن أسلوب غريب في التفكير وقيَم غريبة²¹⁰. وقد وُجِّه سؤال - حول أثر هذه الظاهرة- إلى الدكتور رشيد بلحبيب عن توجُّه المبدعين في المغرب العربي إلى كتابة إنتاجاتهم الفكرية بلغات أجنبية، وأثر ذلك في الثقافة العربية²¹¹.
جاء الجواب في مسألتين:

الأولى: الخطورة لا تكمن في الكتابة باللغة الفرنسية، . . . بل تكمن في الانسلاخ والذوبان في الآخر، وخدمة لغته والدعاية لها بالمجان، وعلى حساب اللغة الوطنية والدينية للأمة. للأسف يوجد لدينا كتاب رديئون بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى لم ينسلخوا من لغتهم فقط، بل انسلخوا من جلودهم، وتحولوا دعاة للفتن، ونصبوا للأمة الكمائن، وكلفوها ما لا تطيق.

الأخرى: يحرص المغاربة على تعليم العربية وعلومها باللغة العربية، ويمنعون التدريس بالعامية في المراحل الدراسية منعاً مطلقاً، وهم يميزون بين العامية والفصحى، ولا يعدون عاميتهم عربية ولا قريبة من العربية، في حين كثير من الشعوب يعدون عاميتهم هي الفصحى، ويتساهلون في التعليم بها، وهذا مما ينقض البناء، ويُدب فيه الضعف والوهن.

الفصل الرابع: آلية العلاج.

إن الازدواجية اللغوية ظاهرة عامة في اللغات البشرية، تنشأ ضمن السياق التطوري الطبيعي لأي لغة، فهي ليست حكراً على العربية وحدها، فقبول هذه الظاهرة في البيئة اللغة قبول عقلي، توافقه الأحكام البشرية والقوانين اللغوية، لذا يقول عبد القادر المغربي: "إن الازدواجية ظاهرة لغوية عامة، وإن كل لغة فصيحة من لغات البشر لها بجانبها لغة متولدة منها هي اللغة العامية أو اللغة الدارجة"²¹².

إلا أننا نحاول وضع جملة من الحلول لرفع هذه الظاهرة، أو التقليل منها، وأهم هذه المقترحات الآتي:

1- غرس محبة اللغة العربية في نفوس الناشئة، لأنها لغة القرآن الكريم، فهي تنمو في نفوسهم بتحفيظ الطفل القرآن، وزيادة ساعاته في المدارس والجامعات؛ لما له من دور فاعل في تصحيح المسار اللغوي، وتنمية المهارات اللغوية، فضلاً عن إلحاق الطفل ما قبل المدرسة برياض تعليم العربية والقرآن؛ مما يساعد على رفع مستواه اللغوي، وتحسين تحصيله الأكاديمي، وهذا ما ذهب إليه الشريجي الذي يرى أن من أهم وسائل الاهتمام بالفصحى هو: "بث الوعي اللغوي بين أبناء الأمة، وإيقاظ غيرتهم من اللغة، وترميم

ما تصدع من ثقتهم بها واعتزازهم بتراثها الحضاري والتاريخي بوصفها مقومًا مهمًا من مقومات الشخصية العربية"²¹³.

2- تضافر الجهود الفردية والمؤسسية في نشر اللغة العربية، وزيادة الوعي بالثقافة اللغوية، (ف اللغة العربية في خطر الجميع شركاء في حمايتها)²¹⁴، والكل مسؤول عن حماية اللغة العربية؛ وهي تحتاج إلى قرارات سياسية وتربوية شجاعة تُترجم نتائجها إلى برامج، وأنشطة، وخطط ترتقي بتعليم اللغة العربية، وقوانين تحمها من التهميش، وما يذكر في هذا السياق ما قام به المجلس الدولي للغة العربية - بمبادرة من منسقه العام الدكتور علي بن موسى - حيث عمم في أكتوبر 2013 قانون اللغة العربية الذي نوقش خلال المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية الذي أقيم في دبي (8- 12 / أبريل 2013)، وقد أرفق المجلس النص بحطاب من اتحاد المحامين العرب الذي تولى تحرير صياغة القانون النهائية²¹⁵.

من التجارب النموذجية لخدمة اللغة العربية تلك التجربة التي قام بها الأمير خالد الفيصل واستشهد بها المسدي في كتابه الهوية العربية والأمن اللغوي للدلالة على أن العربية تحتاج إلى قرارات سياسية؛ لتنافس، وتبقى صادمة في ظل التحديات الداخلية والخارجية، حيث أنشأ الأمير خالد مدرسة لا يتداول الكلام فيها أحدٌ إلا بالفصحى، يقول المسدي: "وقد أمدنا بوثيقة في شكل (مطوية) كتب عليها: (مشروع الأمير خالد الفيصل للالتزام بالفصحى تحدثا وكتابة، النموذج الابتدائية بأبها)"²¹⁶.

إن هذا الأمر هو الذي قوّى العربية في كثير من الدول العربية، وغير العربية كتجربة باكستان؛ لأن "انتشار اللغة العربية في باكستان لا يعود إلى رغبة المتدينين من الشعب فحسب، بل تتعدى إلى بعض الحكام من أصحاب الميول الدينية مثل الجنرال ضياء الحق الذي أمر عام 1978 م بتعليم اللغة العربية كمادة أساسية في المراحل الدراسية بدءًا من الصف الأول حتى الصف العاشر"²¹⁷، حيث يمثل العامل الديني أهم الأسباب المعضدة قوة العربية، وقبولها بين أبناء الدول إسلامية خاصة وغير الإسلامية عامة، فمما يحسب من إنجازات الجنرال ضياء الحق لخدمة اللغة العربية إنشاء الجامعة الإسلامية العالمية في العاصمة عام 1980م التي تعتمد اللغة العربية في عدد من التخصصات، وخاصة في الكليات الرئيسة مثل: كلية اللغة العربية، وكلية الشريعة، والقانون، وكلية أصول الدين، علاوة على تدريسها مادة إجبارية في كليات الجامعة الأخرى، وأقسامها المختلفة حتى العلمية منها كمتطلب عام.

إن من يطالع مصنفات النحو العربي التعليمي من منتصف القرن الثاني الهجري حتى منتصف القرن التاسع الهجري يجد أن تعليم النحو كان وسيلة من وسائل التقرب إلى الله، بخدمة لغة كتابه، وكان أيضا سببا من أسباب الارتزاق في مجتمع يحتاج دائما إلى هذا النحو العربي؛ لفهم كتاب الله، وسنة رسوله الكريم (ﷺ)²¹⁸، من أجل هذا يمثل نشر اللغة العربية، وتعليمها، أو فرضها على الراغبين في العمل بالبلدان العربية رافدا من روافد الاقتصاد²¹⁹، فاللغة العربية "هي ثروة قومية حقيقية مثلها في ذلك مثل البترول، والصناعة، والزراعة، وقناة السويس، وغيرها من الثروات الطبيعية، ويمكن استثمارها حضارياً وسياسياً والانتفاع بها على أنها مورد اقتصادي كبير، ويمكن استثمارها تماماً مثلما نستثمر الإنتاج الصناعي والزراعي وكل ما نملكه من الموارد الاقتصادية الأخرى التي تعتمد عليها الثروة القومية"²²⁰.

لهذا تعمل كثير من الدول على الحفاظ على لغتها، وتسن القوانين لمنع استعمال غير لغتها، يقول هوشي مينه: "لا انتصار لنا على العدو إلا بالعودة إلى ثقافتنا القومية ولغتنا الأم، فحافظوا على صفاء لغتكم كما تحافظون على صفاء عيونكم، حذار أن تستعملوا كلمة أجنبية في مكان بإمكانكم أن تستعملوا فيه كلمة فيتنامية"²²¹.

لما استعمر اليابانيون كوريا منعوا فيها تداول اللغة الكورية، ولما استقلت البلاد 1943 جاء أول مرسوم في أول عدد من جريدته الرسمية بحظر تداول اللغة اليابانية²²²، ومثل هذا كان في الصين، حيث جاء أول قرار ماو تسي تونغ عام 1949 هو التوحيد اللغوي، ومركزية الأداء الاتصالي، فكان نص القرار "على كل صيني أن يتكلم اللغة الخانية لغة بكين - وأن يتخلى عن اللغة الإنجليزية، وعن كل اللهجات الأخرى المتداولة"²²³.

من هذا ما قامت به فرنسا التي تمارس التطهير العرقي؛ حيث حذر وزير الثقافة الفرنسي جاك توبون²²⁴، والدولة الفرنسية، وسائل الإعلام من استعمال غير الفرنسية، ووضع غرامات لمن لا يتقيد بهذا الأمر، وفي هذا الصدد غرمت الحكومة الفرنسية - عام 2006 - شركة فرنسية (هي فرع لشركة أميركية)²²⁵، مبلغا ماليا قدره خمسمائة ألف يورو، فضلا عن غرامة يومية دائمة قدرها عشرون ألف يورو؛ لتزويد موظفيها ببرامج، ووثائق تقنية باللغة الإنجليزية فقط، لذا توجد بعض المؤسسات الفرنسية تحاول تقليل قدر الاقتباس اللغوي من اللغة الإنجليزية؛ فقامت الأكاديمية الفرنسية بتقديم كلمات فرنسية لتحل محل الكلمات الإنجليزية التي تعبر عن مفاهيم جديدة²²⁶؛ لأن الفرنسيين حين لاحظوا التَّنَوُّع اللغوي الطارئ على تركيبة مجتمعهم سارعوا عام 1992 إلى تنقيح دستور

بلادهم كي ينص على أن اللغة الفرنسية هي لغة البلاد شعبا ودولة، وهكذا تهيأ للفرنسيين المناخ المناسب لإصدار قانون حماية اللغة الفرنسية الذي اشتهر بقانون جاك توبون وكان ذلك في 4 أغسطس 1994، وصدر الأمر الرئاسي بتطبيقه في 3 مارس 1995، جاء في فصله الأول "إن لغة الجمهورية طبقا للدستور هي اللغة الفرنسية، وهي الركن الجوهري في السيادة الفرنسية، وفي تراثها. وهي لغة التعليم، والعمل، والمبادلات، والمصالح العمومية"²²⁷.

من أمثلة الدفاع على اللغة القومية بنص القانون ما قام به وزير المواصلات في ألمانيا بيتر رامسوير²²⁸، الذي منع في عام 2010م - تحت طائلة المسؤولية - موظفي وزارته من استخدام سلسلة من المصطلحات اللغوية الإنجليزية (Tickets, Flip-charts, Laptops).
3- إنشاء بيئة لغوية سليمة خالية من شوائب العامية واللغات الأجنبية، وأول بيئة لغوية تحضن الطفل هي الأسرة؛ لأن "القدرة على تعليم اللغة ملكة ذاتية في الطفل تنبثق انبثاقا بمجرد تهيؤ البيئة الموضوعية حولها؛ أي: بمجرد وجود الطفل - السليم بحواسه - في وسط متكلم باللغة، وهو نسميه بالحوض اللغوي"²²⁹.

إن الأسرة هي المكان الأمثل لتربية الطفل لغويا، حيث "يتمتع الأطفال بأفضل ظروف للنمو، واكتساب اللغة خاصة عندما يتم رعايتهم بدأب، وتفان منقطع النظير، وبهدوء تام، من جانب الوالدين أو من يقوم مقامهما"²³⁰، فالأسرة تهتم بسلامة اللغوية، وتحرص على توفير مناخ لغوي مبني على حب اللغة، والبحث عن جمالياتها، والرغبة في تعلمها، ومحاولة إبعاد لغة الطفل من العامية؛ لأن تفشي العامية بين الناشئة من أهم الصعوبات التي تقف أمام تعلمهم العربية، فهم يكتبون بالفصحى، ويتكلمون بالعامية، وهذا "الأمر يخلق لديهم معاناة قاسية جراء لغة تتصارع مع مولود معقد التركيب، أو مولود (غير شرعي) لا بد أن يوهنها صراعه؛ لأنه يحتل مواقع مهمة في المجتمع وجوانب مختلفة من حياة الفرد"²³¹.

إن هذه البيئة اللغوية الخالية من الازدواج اللغوي تُمَثِّلُ مادة سماعية تفيد دراسي اللغة العربية، وتقوي ملكتهم اللغوية، فالبعد من اللسان لا يكون إلا بمخالطة لسان آخر، يقول ابن خلدون (ت 808 هـ) "من خالط العجم أكثر كانت لغته من ذلك اللسان الأصلي أبعد"²³²، وهو مدلول الصورة المجازية التي يرددها المختصون بمجال الاكتساب اللغوي التلقائي "إن على الطفل أن يصاب باللغة على معنى أنها بمثابة الفيروس أو بمثابة تطعيم اللقاح"²³³؛ لأن اللغة كما يراها ابن خلدون (ت 808 هـ) "ملكة لا تحصل إلا بتكرار الأفعال"²³⁴.

هذا الفلسفة التربوية في تعليم اللغة لا يكون إلا في البيئة اللغوية السليمة، فالمتعلم يكتسب المعرفة باللغة من بيئته اللغوية التي تُمَثِّلُ أفضل مكان لتكرار هذه الأفعال، ومن تعرض شفاف لها، ومن دون أن يتدرج عبر تمارين متخصصة فيستطيع، بعد ذلك، استعمال بُنى معقدة، وقواعد موجهة للتعبير عن أفكاره وأحاسيسه، لأن "الطفل عندما يولد يكون مزودا بملكة لغوية فطرية، أي: مجموعة من القواعد والقوانين اللغوية العامة التي تنضج شيئا فشيئا من خلال ما يسمعه الطفل في مجتمعه إلى أن يصبح قادرا على بناء الجمل وتركيبها"²³⁵.

إن اللغة ملكة يصار إليها بكثرة الممارسة والمزاولة، وقديما نصح العلماء من أراد العربية بأخذها من أهلها، وحفظها من أفواههم بالرحلة إليهم، والإقامة معهم في بوادهم، أو استقدامهم وملازمتهم، حيث تُمَثِّلُ البيئة الاجتماعية الفصيحة التي ينشأ فيها الطفل، ويستمتع الكلام الفصيح من أهم مصادر لاكتساب الملكة اللسانية كما يقول محمد الطيان²³⁶، ومنها كذلك الاستماع إلى وسائل الإعلام الفصيحة، وقراءة النصوص البليغة، وحفظها والاستماع إليها، وهذا مشاهد في أطوار نمو المتعلم، ولموس في واقع الحياة، فالمتكلم يسمع كلام أهل جيله، وأساليهم في مخاطباتهم، وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيوظفها أولا، ثم يسمع التراكيب بعدها كذلك، ثم لا يزال سماعه لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم²³⁷.

4- ضرورة تعليم أساس اللغة الأم دون أن يزاحم هذا الأساس بلغات أخرى، لأن من أسباب ضعف الفصحى ما شاب لسان متحدثيها من عامية منحرفة عن الصواب، وبسبب بمزاحمة تعلمها بتعلم لسان آخر، فتقوية أي لسان والحفاظ عليه يبدأ من الأساس؛ فمتى أردنا بناء بيئة لغوية قوية وجب أن يكون الأساس قويا، وهذا يلزمنا كما يقال: التأسيس خير من التصحيح، وقد أشار قديما الجاحظ (ت 255 هـ) عند حديثه عن المترجم إذا أراد أن يترجم كتابا لحكيم من الحكماء، يقول: "متى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما؛ لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى، وتأخذ منها، وتعرض عليهما، وكيف يكون تمكُّنُ اللسان منهما مجتمعين فيه كتمكُّنه إذا انفرد بالواحدة، وإنما له قوَّة واحدة، فإن تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوَّة عليهما"²³⁸.

أما في الدراسات الحديثة فيذكر علماء التربية أن هناك ظاهرة تسمى ظاهرة الاعتماد المتبادل، أو الاتِّكَالُ الْمُتَبَادِلُ (Interdependence) بين اللغة الأم واللغة الأجنبية، مما يؤثر في إتقانها معا؛ فالطفل الذي يتلقى دروسا في لغة ثانية (أجنبية)، قبل أن يتقن لغته

الأولى لن يتقدم في هذه أو تلك²³⁹، لأن الازدواجية اللغوية تفضي إلى ضعف تحصيل الطفل اللغوي والثقافي، ولعل هذا ما حذر منه المجلس العربي للطفولة والتنمية في مؤتمره العالمي حول "لغة الطفل العربي في عصر العولمة" المنعقد في مقر الجامعة العربية في القاهرة في المدة (17 - 19 فبراير 2007)²⁴⁰، وبهذا نادت النظريات اللغوية القائمة على الطريقة الذهنية المعرفية التي نادى به كل من تشومسكي (Chomsky) وجان بياجيه (J.Piaget)، وهي تقوم على تعريف المتعلم بالنظام الصوتي، والنحوي، والصرفي، ودلالات اللغة.

إن الأساس الأول لتمكين المتعلم من ممارسة اللغة، هو أن يسيطر بوعي على نظامها متفهماً له، مستوعباً لحقائقه؛ لأنه " كلما ازداد أساس اللغة الأم رسوخاً، واستمرت في تطورها، ازدادت القدرة على اللغة الثانية"²⁴¹.

كتب التربوي سايمون لوري (Simon Laurie) - عام ١٨٩٠ - تقريراً حول تعليم لغتين في الوقت نفسه، يقول: "إذا استطاع طفل الحياة أو ولد بلغتين في وقت واحد على نحوٍ متساوٍ، فإن هذا لسوء حظه؛ فإن نموه الفكري والروحي لن يتضاعف نتيجةً لذلك، وإنما سيُستنزف نصفه، وسيصعب تحقيق وحدة الفكر والشخصية في مثل هذه الظروف"²⁴²، وقال- عام 1920- أوتو يسبرسن (Otto Jespersen): "إن الجهد العقلي المطلوب لإتقان لغتين بدلاً من لغة واحدة يقلل بالتأكيد من قدرة الطفل على تعلّم أشياء أخرى كان من الممكن له ويُفترض به تعلّمها"²⁴³.

أشار التربويون إلى أن تعلم كلمتين لشيء واحد، أو لفكرة واحدة ونظامين من القواعد ينعكس سلباً على الطفل فيتداخل تفكيره، ويعتاص كلامه؛ الأمر الذي دفع بعضهم إلى القول بوجود علاقة بين ثنائية اللغة والتأتأة من أمراض الكلام، فقد أجريت دراسة على أطفال بأعمار (4-17 سنة) كان من نتائجها "أن 2.8% من الأطفال ثنائيي اللغة كانوا مصابين بالتأتأة، بينما لم يزد المصابون بالتأتأة عن 1.8% فقط من أطفال وحيدوي اللغة"²⁴⁴.

إن هذا التداخل بين اللغات عند ثنائيي اللغة ليس محصوراً على الأطفال بل قد يحدث عند البالغين، فتلاحظ اللكنة في كلامهم؛ بتأثير اللغة الأقوى في نطق الأخرى، فوجود لكنة في لغة واحدة أو أكثر هو القاعدة لدى الأشخاص ثنائيي اللغة؛ والاستثناء عدم وجود اللكنة، وهذا ما يؤكده الباحث البريطاني فيفيان كوك (Vivian Cook) بأبحاثه التي تُظهر كيف يمكن أن تؤثر معرفة لغة ثانية واستخدامها في اللغة الأولى²⁴⁵، وهذا ما أشارت إليه

إيفا هوفمان (Eva Hoffman) في كتابها: فُقد في الترجمة (Lost in Translation) تقول: "عندما أتحدث بالبولندية الآن، فإنها تكون غير نقية، وتؤثر فيها الإنجليزية الموجودة في ذهني، فكل لغة تغيّر الأخرى، وتختلط بها"²⁴⁶.

5- الاهتمام بمناهج التدريس، وتطوير نظام التعليم، وتجويده، وإعداد المعلمين وتعزيز قدراتهم، وتزويدهم بأحدث النظريات المتصلة بواقع العمل، واتصالهم بالجامعات المتقدمة في هذا المجال، والاهتمام بتصميم المداخل التعليمية، لأن هذا الازدواج اللغوي بين الفصحى والعامية "سبب رئيس في تصدع النبتة الثقافية لأمتنا، وهو المسئول عن هذا التبديد القاتل لكل الجهود التربوية، إنه عدو لكل تطور فكري أو حضاري"²⁴⁷.

إن هذا الأمر يفرض على القائمين على تصميم المناهج أن يبحثوا عن الوسائل التي تقوي الفصحى، وترغب الطلبة في تعلم اللغة العربية، من خلال تطوير المناهج، وتيسير القواعد، حيث تؤكد الأدبيات²⁴⁸ في مجال تعليم اللغة أهمية تصميم المداخل التعليمية المتسقة مع طبيعة اللغة، وطبيعة تعلّمها وتعليمها، وما يناسبها من طرق التدريس التي تتيح للمتعلم ممارسة اللغة، واستخدامها، الذي يؤدي بالمتعلم إلى تعلّم اللغة، يقول العدناني: "إنني لا أرى المجد اللغوي أقل من المجد السياسي للأمة صاحبة حديثنا من سباتها العميق كأمتنا العربية؛ لذا أنصح أن يوجهوا اهتماما كبيرا إلى تقوية الفصحى، والإقلال من اللغة العامية، وضبط معظم الكتب والمجلات بالشكل التام"²⁴⁹.

6- تزويد الطالب بالمعجم اللغوي (الكفاية اللغوية)، وهذه الكفاية لا تقاس بقوة ذاكرة المتعلم في ترديد ما يسمع فحسب، بل في قدرته على تطبيق قاعدة تعلمها على عدد لا يحصى من الأمثلة في اللغة سماعا وإنتاجا. فتجد الطالب يحفظ القالب دون أن يتمكن من توظيفه في جمل من إنشائه، أو مواقف مختلفة، فيحفظ كلمة (أحسنّت) لكنه لا يملك القدرة على توظيفها في تعبير قول: (أُحَسَّنْتُ، أو أُحَسَّنَ، أَحْسَنَّا). ولعل من الوسائل المقترحة في هذا المجال هو الاهتمام بإثارة نشاط الطفل العقلي، وتحفيزه بممارسة الألعاب اللغوية، وتحبيبه في اللغة العربية.

7- دعم الحديث باللغة العربية في المجتمع، والدعوة إلى الحديث بها في القطاعات المختلفة، ولا سيما في مجال التعليم، والمؤسسات الحكومية؛ لأن هذه الازدواجية من وجهة النظر الاقتصادية والتماusk القومي وفعالية التعليم والاتصالات وأجهزة الإعلام، تُمَلِّئُ عائقا في وجه متعلم اللغة؛ لأنها تحد من تعلمه، فالطفل يجد صعوبة بالغة في تعلم الفصحى بعد أن أمضى سنوات في حديثه بالعامية، فالطفل العربي - على اختلاف ما تكون عليه الأوضاع في جل الثقافات الإنسانية الأخرى - يواجه منذ مراحل الاكتساب التعليمي

الأول واقعا لغويا دقيقا تكون فيه اللغة العربية الفصحى بمثابة لسان طارئ بالنسبة إلى اللهجة التي هي اللسان الطبيعي المكتسب لديه بالأمومة²⁵⁰.

هذه صورة الوضع اللغوي في واقعنا التاريخي الراهن الذي تتعدد فيه المستويات والأنماط معا، وهو يمثل صعوبة في تعلم الطفل اللغة؛ لأنه قد يجد أبناء القطر الواحد صعوبة في فهم بعضهم بعضاً حيث يكاد يصعب على العربي في شمال العراق - كما يقول السامرائي²⁵¹ - فهم قروي من الأهواز في جنوب العراق، فإذا كان هذا حال أبناء العربية، فكيف يكون متعلم العربية من غير الناطقين بها.

أدرك خبراء اللغة "أن تنوع مظاهر اللغة العربية يتطلب تنوعا مماثلا في خطط حمايتها، والتهوض بها، وتطوير استخدامها لمواجهة متغيرات العصر الرقمي، وتقنياته العلمية الحديثة، وبخاصة ما يفرضه التواصل مع شبكة الإنترنت"²⁵²، ووسائل الإعلام التي تُمَثِّلُ مدرسة كبرى تسوّق المعلومة، وتروج الثقافة في أشكالها المختلفة، إلا أن أكثر محطاتنا الإعلامية ابتلت بالحديث باللهجات العامية التي تُمَثِّلُ خطرا حقيقيا على الفصحى أكبر من خطر اللغات الأجنبية، لأن "اللغات الأجنبية لم تعد هي العدو الأول للغة العربية، وإنما العدو الذي في استطاعه أن يُجَهِّزَ على العربية فيذهب بريحها هو اللهجات العامية حين تكتسح المجال الحيوي للفصحى؛ ولا سيما حين تغزو قلاع المؤسسة التعليمية"²⁵³، يقول المسدي: "إننا أمة لا نفتأ نعمل على ضياع هويتنا اللغوية، فاللغات الأجنبية لم تعد العدو الأول للغة العربية، بل حلت اللهجات العامية محلها في هذا العداء الشرس النافذ، إننا ما فتئنا نفسح الأبواب للعاميات كي تغزو الحقول التي تحيا بفضلها العربية"²⁵⁴.

تظهر أول مشاكل شيوع اللهجة أن المتعلم الأجنبي عندما يأتي بلداً عربيا بهدف اكتساب اللغة العربية يجد نفسه أمام لغتين - في تصوره - وهما:²⁵⁵

الأولى: لغة فصيحة، يتعلمها في المركز التعليمي، ويسمعها من معلمه.

الأخرى: لهجة محكية، يسمعها في محيطه الاجتماعي، وقد يسمعها - للأسف - من بعض معلمي اللغة العربية.

لذا يجب - لتخطي هذه العقبة - أن نعمل على نشر الفصحى، وتقويتها على ألسنة أبنائها أولا، وتصحيح مناهجها، وتمكين وسائل الإعلام من الارتفاع بالعامية، وتقريب العامية من الفصحى؛ أي: بمعنى أن تتخلى العامية عن كثير من خصائصها لتقترب من الفصحى، ولا سيما الإعلانات التجارية التي يجب أن تلزم باستخدام العبارات سليمة

التركيب التي تجمع بين البساطة في التعبير، واحترام قواعد اللغة؛ لأن الأنشطة الإعلامية أقرب إلى الأطفال.

لعل هذا ما نادى به حسين محفوظ في بحثه تقريب العامية من الفصحى²⁵⁶، حيث دعا فيه بضرورة نشر الفصحى، وانتقاء فصيحها، وإذاعته، وتهذيب ما حرفته ألسنة العامة منه، وذلك بصياغته الصياغة العربية الصحيحة؛ وإن النجاح في تحديد احتياجات الطفل من هذه الألفاظ سيسهل عملية إذاعة الفصحى على لسانه، والتعبير بها عما يدور في خلد من فكر وأحاسيس.

خاتمة العمل

الفصحى ركيزة رئيسة لتوحيد الأمة العربية من الشّتات، فهي لغة الدين والقومية العربية؛ فهي الجسر الواصل بين أبنائها، والرابط بين تراثها، وحاضرها، ومستقبلها، فهي تحمل في أصواتها أبعاد متكلمها النفسية، والفكرية، والاجتماعية، فهم يعبرون بها عن أغراضهم، في المقابل تأتي اللهجات العامية والدعوة إلى استبدالها بالفصحى دعوة إلى الفرقة، وفك وحدة الأمة، ونفي القواسم المشتركة بين هذه الأمة العظيمة، فاللهجات تضيق على الفصحى، وتمزق كيان الأمة؛ فتجعلها أمماً شتى. فهي سبب رئيس في تصدع نبتة أمتنا الثقافية، لأنها تفضي إلى ضعف تحصيل الطفل اللغوي والثقافي، لذا كان خطر اللهجات لا يقتصر على اللغة وحدها، فهي داء يفتُ كل مناحي الحياة: الثقافية، والفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتعليمية، والسياسية.

كل الدعوات التي قامت لإحلال العامية محل الفصحى قد فشلت في تحقيق كثير من مطالبها. إلا أن النظرة العقلية إلى واقع اللغات البشرية يلحظ أن هذه اللغات تعيش صراعا لغويا طرفاه اللهجة والفصحى، أو الفصحى ولغة أخرى، حيث يثبت علم اللغة التقابلي أن الازدواجية اللغوية ظاهرة تنتاب كل اللغات، فهي خاصية جوهرية في الألسن البشرية المختلفة، فهو حقيقة لا تدفع، وواقع لا ينكر، وهذا ثابت في الدراسات اللغوية المقارنة؛ لذا وجب التسليم بوقوع هذه الظاهرة، ومحاولة العمل على وضع مقترحات للتقليل منها، ومحاولة رفعها على مستوى الحلقات الأولى في تعليم اللغة؛ لضرورة تعليم أساس اللغة الأم دون أن يزاحم هذا الأساس بلغات أخرى.

إن الدعوة إلى تعليم الطفل اللغة الفصحى يبدأ بتحفيظه القرآن الكريم، يقويه الحديث بالفصحى على مستوى الأسرة، ليسمعه الطفل في المجتمع، والمؤسسات المختلفة، وهذا الأمر يحتاج إلى تضافر الجهود الفردية والمؤسسية في نشر اللغة العربية، وزيادة الوعي بالثقافة اللغوية، مع ضرورة تقريب العامية من الفصحى، بانتقاء فصيحها،

وإذاعته، وتهذيب ما حرفته ألسنة العامة منه، مع ضرورة الإشارة إلى أن موجبات إعلاء شأن اللغة العربية، ودعمها لا يتعارض مع اعتبارات الانفتاح على الثقافات العالمية وتعلم اللغات الأجنبية.

-
- ¹⁻ تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. د. ط. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. 1990. ص 244.
 - ²⁻ أبو سليمان. صادق عبد الله. تنشئة الطفل في اللغة ، مبدأ سيادة ملكة الفصحى. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: العدد 101. ج 1 ص 2.
 - ³⁻ المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي، دراسة وتحقيق . ط 1. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2014. ص 279.
 - ⁴⁻ تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 1.
 - ⁵⁻ جمعة سيد يوسف. سيكولوجية اللغة والمرض العقلي. عالم المعرفة. الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. العدد 145. يناير 1990. ص 143.
 - ⁶⁻ أنيس فريحة. اللهجات وأسلوب دراستها. ط 1. بيروت: دار الجيل. 1989. ص 73.
 - ⁷⁻ محمد حماسة. مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي. ط 2. القاهرة: دار غريب. 2006. ص 48.
 - ⁸⁻ ميشال زكريا. الأسنسية ، علم اللغة الحديث) . ط 2. بيروت. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. 1985. ص 9.
 - ⁹⁻ دي سوسير. دروس في الأسنسية العامة. ترجمة صالح القرمادي، ومحمد الشاوش، ومحمد عجينة. د. ط. ليبيا: الدار العربية للكتاب. 1985. ص 35.
 - ¹⁰⁻ السعران، محمود. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. د. ط. بيروت: دار النهضة العربية. د.ت. ص 73.
 - ¹¹⁻ استعان علم اللغة الحديث بعلم النفس، وعلم الاجتماع العام، وعلم الأجناس البشرية، وعلم الوراثة، وعلم الحياة العام، وعلم وظائف الأعضاء، وعلم التشريح، والفيزياء، والتاريخ، والجغرافيا، وغيرها. ينظر: السعران. علم اللغة ص 69، ووافي، علي عبد الواحد. علم اللغة. ط 3. القاهرة: نهضة مصر. 1972. ص 32.
 - ¹²⁻ محمود حجازي: أصول البنوية في علم اللغة والدراسات الإثنولوجية. مجلة عالم الفكر. الكويت. المجلد 3. العدد 1. 1972. ص 156.
 - ¹³⁻ فرحان الجيحي: اللغة الوظيفية والدلالة، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 446، حزيران 2008. ص 8.
 - ¹⁴⁻ القيسي، عودة الله منيع. العربية الفصحى (مروننها، وعقلانيتها، وأسباب خلودها). ط 1. عئان: دار البداية. 2008. ص 209.

- ¹⁵ سلامة موسى. البلاغة العصرية واللغة العربية. ط 1. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. 2012. ص 81.
- ¹⁶ حسام أحمد فرج. نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري. ط1. القاهرة: مكتبة الآداب. 2007. ص 14.
- ¹⁷ تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها. ط2. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1979. ص 337.
- ¹⁸ الخاقاني، محمد طاهر آل شبير. علم الاجتماع. ط 1. بيروت: دار مكتبة. ١٩٨٧. ص ١.
- ¹⁹ هـسون. علم اللغة الاجتماعي. ترجمة محمود عياد، راجعه نصر أبو زيد ومحمد سعد الدين. ط 2. القاهرة: عالم الكتب. 1990. ص 12.
- ²⁰ پول فابر وكريستيان بابلون. مدخل إلى الأسنية. ترجمة طلال وهبة. ط 1. بيروت: المركز الثقافي العربي. 1992. ص 105.
- ²¹ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين. تحقيق فوزي عطوي. ط 1. بيروت: دار صعب. 1968. ص 87، والقلشندي، أحمد بن علي. صبح الأعشى في صناعة الإنشا. تحقيق يوسف علي طويل. ط 1. دمشق: دار الفكر. 1987. ج 2 ص 350.
- ²² الجاحظ، البيان والتبيين. ص 90.
- ²³ حسام أحمد فرج. نظرية علم النص. ص 48.
- ²⁴ صلاح فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص. ط 1. مكتبة لبنان ناشرون: الشركة المصرية العالمية للنشر. 1996. ص ص 25 - 26.
- ²⁵ حسام أحمد فرج. نظرية علم النص. ص 24.
- ²⁶ ستيفن أولمان. دور الكلمة في اللغة. ترجمة كمال محمد بشر. ط 12. القاهرة: دار غريب. د. ت. ص 191.
- ²⁷ هـسون: علم اللغة الاجتماعي. ص 75.
- ²⁸ أحمد مختار عمر. علم الدلالة. ط 3. القاهرة: عالم الكتب. 1992. ص 71.
- ²⁹ هـسون: علم اللغة الاجتماعي. ص 76.
- ³⁰ من هذا ، we obtained some sodium chloride ؛ لقد حصلنا على بعض كلوريد الصوديوم) حيث يُعَدُّ استخدام كلمة ، obtained ؛ حصلنا) كلمة رسمية، مقارنة ب، got؛ أخذنا، أو أعطونا)، وتُعَدُّ كلمة ، (sodium chloride) مصطلحا فنيا، مقارنة ب، salt؛ أي: ملح" ، المرجع السابق. ص 83.
- ³¹ پول فابر وكريستيان بابلون: مدخل إلى الأسنية. ص 106.
- ³² الجاحظ: البيان والتبيين. ص 90.
- ³³ عبد الرحمن الحاج صالح. الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية في الجامعات العربية. ندوة تعليم اللغة العربية. 1984. ص 10.

- ³⁴- رابح بو معزة. تيسير تعليمية النحو ، رؤية في أساليب تطوير العملية التعليمية من منظور النظرية اللغوية. ط 1. القاهرة: عالم الكتب. 2009. ص 38.
- ³⁵- المرجع السابق. ص 44.
- ³⁶- القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد. منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة. د. ط. تونس: دار الكتب الشرقية. 1966. ص 25.
- ³⁷- سورة إبراهيم: 4.
- ³⁸- فرانسوا جروجون. ثنائيو اللغة. ترجمة زينب عاطف، مراجعة مصطفى محمد فؤاد. ط 1. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. 2017. ص 56.
- ³⁹- الإمام البخاري ، محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح. تحقيق مصطفى ديب البغا. ط 3. بيروت: دار ابن كثير. 1987. ج 1 ص 41.
- ⁴⁰- ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. تحقيق محمد عبد الباقي. ط 1. بيروت: دار المعرفة. 1990. ج 1 ص 255.
- ⁴¹- الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم. تحقيق محمد عبد الباقي. ط 1. بيروت: دار الفكر. 1983. ج 1 ص 11.
- ⁴²- الجاحظ: البيان والتبيين. ص 64.
- ⁴³- الجوهري، إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبد الغفور. ط 4. بيروت: دار العلم للملايين. 1987، مادة: ف. ص. ح.
- ⁴⁴- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. لسان العرب. تحقيق ياسر أبو شادي، ومجدي السيد. د . ط. القاهرة: المكتبة التوفيقية. د. ت. مادة: ف. ص. ح.
- ⁴⁵- عكاشة، محمود. علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية. ط 1. القاهرة: دار النشر للجامعات. 2006. ص 96.
- ⁴⁶- البرازي، مجد محمد الباكير. مشكلات اللغة العربية المعاصرة. ط 1. عمان: مكتبة الرسالة. 1989. ص 55.
- ⁴⁷- جواد علي. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط 4. بيروت. دار الساقى. 2001. ج 16 ص 175.
- ⁴⁸- القيسي. العربية الفصحى. ص 212.
- ⁴⁹- سورة التحريم: 11.
- ⁵⁰- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. تحقيق سامي بن محمد سلامة . ط 2. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع. 1999. ج 8 ص 172.

- ⁵¹⁻ يقول القيسي: "اللغة العربية لغة اشتقاقية، ولا تزامها في هذا لغة أخرى، فأنت يمكن أن تشتق عشرين كلمة من مادة: كَتَبَ مثلا، ولكنك لا تستطيع أن تشتق من مادة: (write) الإنجليزية إلا كلمات قليلة، لاحظ أنك تشتق من كَتَبَ مكتبا، ولكن مقابلها في الإنجليزية لا يأتي من مادة: write، وإنما هي office، وتشتق من كَتَبَ مكتبة، ومن الإنجليزية شيء آخر فهي library، ثم كتاب، وهي في الإنجليزية من مادة أخرى book، وهكذا عشرات الكلمات". العربية لفصحى. ص 209 .
- ⁵²⁻ القيسي. العربية الفصحى. ص 209.
- ⁵³⁻ الجندي، أنور. الفصحى لغة القرآن. ط 1. بيروت: دار الكتاب اللبناني. 1982. ص ص 9 - 15 .
- ⁵⁴⁻ الشرجي، محمد يوسف. أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المعاصرة. مجلة التراث العربي. اتحاد الكتاب العرب. دمشق. العدد 90 . السنة 23. يونيو. 2003. ص ١٢٢ .
- ⁵⁵⁻ المرجع السابق. ص 123.
- ⁵⁶⁻ السيوطي. المظهر في علوم اللغة وأنواعها. شرحه وضبطه. محمد أحمد، وآخرون. د. ط. القاهرة: مكتبة التراث. د. ت. ص 212.
- ⁵⁷⁻ ابن خالويه، الحسين بن أحمد. شرح الفصيح. تحقيق عبد الله بن عمر، وآخرين. ط 1. الرياض: مركز البحوث والتواصل المعرفي. 2017. ص 13.
- ⁵⁸⁻ السيوطي. المظهر في علوم اللغة وأنواعها. ج 1 ص 165.
- ⁵⁹⁻ ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري. النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر الزاوي والطناحي. د. ط. بيروت: المكتبة العلمية. 1979. ج 1 ص 3.
- ⁶⁰⁻ هذا الحديث لا أصل له في كتب السنة المعتمدة بها، كما صرح بذلك جمع ممن ألفوا في الموضوعات. ومعناه صحيح؛ وقد سُمع بألفاظٍ متقاربة.
- ⁶¹⁻ ابن منظور. لسان العرب. مادة: ع. ر. ب.
- ⁶²⁻ ابن حنون، عبد الله بن الحسين. اللغات في القرآن. بإسناد الرواية إلى ابن عباس. تحقيق صلاح الدين المنجد. ط 1. القاهرة: مطبعة الرسالة. 1946. ص 19.
- ⁶³⁻ الحميدي، محمد بن فتوح. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم. تحقيق علي حسين البواب. ط 2. بيروت: دار ابن حزم. 2002. ج 1 ص 18.
- ⁶⁴⁻ الجندي، أحمد علم الدين. اللهجات العربية في التراث. ط 2. تونس. الدار العربية للكتاب. 1983. ج 1 ص 117.
- ⁶⁵⁻ شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي. ط 8. القاهرة: دار المعارف. د. ت. ص 132.
- ⁶⁶⁻ السيوطي. المظهر في علوم اللغة وأنواعها. ج 1 ص 166.

- ⁶⁷ أحمد بن فارس: الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. تحقيق أحمد صقر. ط 1. القاهرة: عيسى البابي الحلبي. 1977. ص 33، والسيوطي. المزهري في علوم اللغة وأنواعها. ج 1 ص 210 .
- ⁶⁸ السيوطي. المزهري في علوم اللغة وأنواعها. ج 1 ص 211 .
- ⁶⁹ ابن خلدون. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. المقدمة (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) . ط 1. بيروت: دار صادر. 2000 . ص 358.
- ⁷⁰ شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي. ص 133.
- ⁷¹ أحمد بن فارس: الصحابي في فقه اللغة. ص 52.
- ⁷² ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى. مجالس ثعلب. تحقيق عبد السلام هارون. ط 5. القاهرة: دار المعارف. 1987. ج 1 ص 80.
- ⁷³ ابن جني. الخصائص. تحقيق محمد علي النجار. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2001. ج 2 ص 12.
- ⁷⁴ ابن منظور. لسان العرب. مادة: ل. ه. ج.
- ⁷⁵ إبراهيم أنيس. اللهجات العربية. ط 2. القاهرة: مطبعة الرسالة. 1952. ص 13، والمطلبي، غالب فاضل. لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة. د. ط. العراق: منشورات وزارة الثقافة والفنون. 1978. ص 29.
- ⁷⁶ وافي، علي عبد الواحد. فقه اللغة. د. ط. القاهرة: دار نهضة مصر. د. ت. ص 153 - 154.
- ⁷⁷ ابن جني. الخصائص. ج 1 ص 378.
- ⁷⁸ إميل يعقوب وآخرون. قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية. ط 1. بيروت: دار العلم للملايين. 1987. ص 334.
- ⁷⁹ عبد الغفار حامد هلال. اللهجات العربية نشأة وتطورا. ط 2. القاهرة: مكتبة وهبة. 1993. ص 33.
- ⁸⁰ الحميذي. الجمع بين الصحيحين. ج 1 ص 18.
- ⁸¹ الجمحي، محمد بن سلام. طبقات فحول الشعراء. تحقيق محمود شاكر. ط 1. القاهرة: مطبعة المدني. 1974. ج 1 ص 11.
- ⁸² ابن الأثير. النهاية في غريب الحديث والأثر. ج 1 ص 3.
- ⁸³ المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي. ص 166.
- ⁸⁴ ابن جني. الخصائص. ج 1 ص 398.
- ⁸⁵ السيوطي. المزهري في علوم اللغة وأنواعها. ج 1 ص 202.

- 86- المرجع السابق. ج 1 ص 168.
- 87- الجندي. الفصحى لغة القرآن. ص 32.
- 88- السيوطي. المزهري في علوم اللغة وأنواعها. ج 1 ص 229.
- 89- الزبيدي، محمد بن الحسن. طبقات النحويين واللغويين. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط 2. القاهرة: دار المعارف. د. ت. ص 39.
- 90- الجندي. اللهجات العربية في التراث. ج 1 ص 117.
- 91- إبراهيم أنيس. اللهجات العربية. ص 17.
- 92- ابن جني. الخصائص. ج 1 ص 372.
- 93- ابن الأثير. النهاية في غريب الحديث والأثر. ج 1 ص 3.
- 94- ابن جني. الخصائص. ج 1 ص 386.
- 95- الجندي. اللهجات العربية في التراث. ج 1 ص 76.
- 96- مرتاض. عبد الجليل. العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى. د. ط. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1981. ص 7.
- 97- ابن جني. الخصائص. ج 1 ص 244.
- 98- جواد علي. المفصل في تاريخ العرب. ج 16 ص 201.
- 99- ابن جني. الخصائص. ج 1 ص 400.
- 100- المرجع السابق. ج 1 ص 400.
- 101- أحمد بن فارس: الصحابي في فقه اللغة. ص 50.
- 102- المطرزي، ناصر بن عبد السيد. المغرب في ترتيب المعرب. تحقيق محمود فاخوري. وعبد الحميد مختار. ط 1. حلب: مكتبة أسامة بن زيد. 1979. ج 2 ص 455.
- 103- ابن جني. الخصائص. ج 1 ص 400.
- 104- السيوطي. المزهري في علوم اللغة وأنواعها. ج 1 ص 176.
- 105- المرجع السابق. ج 1 ص 176.
- 106- أحمد بن فارس: الصحابي في فقه اللغة. ص 50.
- 107- ابن عصفور، علي بن مؤمن. ضرائر الشعر. تحقيق خليل عمران المنصور. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1999. ص 27.

- ⁻¹⁰⁸ نعيم، مزيد إسماعيل، و مرجان، روفائيل أنيس. أثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي. مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية. سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية. المجلد 28، العدد 1. 2006. ص 17.
- ⁻¹⁰⁹ ابن جني. الخصائص. ج 2 ص 15.
- ⁻¹¹⁰ السيوطي. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. ج 2 ص 193.
- ⁻¹¹¹ الجوهري. الصحاح تاج اللغة. مادة: س. ك. ر.
- ⁻¹¹² السيوطي. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. ج 1 ص 415.
- ⁻¹¹³ الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد. مجمع الأمثال. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. د. ط. بيروت: دار المعرفة. د. ت. ج 1 ص 68.
- ⁻¹¹⁴ الجندي. اللهجات العربية في التراث. ج 1 ص 135.
- ⁻¹¹⁵ ابن حسنون. اللغات في القرآن. ص 4.
- ⁻¹¹⁶ المرجع السابق. ص 20.
- ⁻¹¹⁷ السيوطي. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. ج 1 ص 169.
- ⁻¹¹⁸ ابن منظور. لسان العرب. مادة: ز. ل. ق. م.
- ⁻¹¹⁹ المرجع السابق. مادة: ه. ج. ر. س.
- ⁻¹²⁰ المرجع السابق. مادة: ص. ف. ف.
- ⁻¹²¹ أحمد بن فارس. الصحاحي في فقه اللغة. ص 50.
- ⁻¹²² جوزيف فندريس. اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص. د. ط. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. 1950. ص 310.
- ⁻¹²³ شوقي ضيف. العامية فصحي محرفة. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: العدد 91. ص 37.
- ⁻¹²⁴ محمود تيمور. مشكلات اللغة العربية. ط 1. القاهرة: مكتبة الآداب. 1956. ص 197.
- ⁻¹²⁵ إبراهيم أنيس. اللهجات العربية. ص 316.
- ⁻¹²⁶ كايد، إبراهيم. العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية. المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل. المجلد 3. العدد 1. مارس 2002. ص 68.
- ⁻¹²⁷ الموسى، نهاد. الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة. ط 1. عمان: دار الشروق. 2003. ص 125.
- ⁻¹²⁸ أحمد مختار. تاريخ اللغة العربية في مصر. ط 1. القاهرة: الهيئة المصرية للطباعة. 1970. ص 20.
- ⁻¹²⁹ المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي. ص 323.

- ⁻¹³⁰ كايد. العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية. ص 54.
- ⁻¹³¹ بلعيد، صالح. دروس في اللسانيات التطبيقية. ط 3. الجزائر: دار هومه. 2000. ص 16.
- ⁻¹³² الجندي. الفصحى لغة القرآن. ص 193.
- ⁻¹³³ وافي، علي عبد الواحد. فقه اللغة. ص 155.
- ⁻¹³⁴ الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد . المفردات في غريب القرآن. تحقيق صفوان الداودي. ط 1. بيروت: دمشق. دار القلم، الدار الشامية. ص 449، والمناوي، محمد عبد الرؤوف. التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق محمد الداية. ط 1، بيروت: دمشق. دار الفكر المعاصر ، دار الفكر . 1990. ص 618.
- ⁻¹³⁵ ابن خلدون. المقدمة. ص 386، والمقري، أحمد بن محمد. نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق إحسان عباس. ط 1. بيروت: دار صادر. 1968. ج 7 ص ص 14 - 15.
- ⁻¹³⁶ الحوالي، سفر بن عبد الرحمن. العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة. ج 2 ص 15 موقع الشيخ الحوالي: www.alhawali.com.
- ⁻¹³⁷ الجندي. اللهجات العربية في التراث. ج 1 ص ص 117 - 118.
- ⁻¹³⁸ المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي. ص 12.
- ⁻¹³⁹ المرجع السابق. ص 183.
- ⁻¹⁴⁰ ابن منظور. لسان العرب. المقدمة منه.
- ⁻¹⁴¹ المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي. ص ص 12 - 13.
- ⁻¹⁴² البرازي. مشكلات اللغة العربية المعاصرة. ص 55.
- ⁻¹⁴³ الأفغاني، سعيد. من حاضر اللغة العربية. ط 2. دمشق: دار الفكر. 1971. ص 160.
- ⁻¹⁴⁴ نبيل علي: العرب وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 184، أبريل 1994. ص 327.
- ⁻¹⁴⁵ المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي. ص 269.
- ⁻¹⁴⁶ محمد حسين. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. ط 3. بيروت: دار النهضة العربية. 1972. ج 2 ص 84.
- ⁻¹⁴⁷ الجندي. الفصحى لغة القرآن. ص 127.
- ⁻¹⁴⁸ نفوسة. زكريا سعيد. تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر. ط 1. الإسكندرية: دار الثقافة. 1964. ص 60.
- ⁻¹⁴⁹ الجندي. الفصحى لغة القرآن. ص 188.

- 150- محمد حسين. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. ج 2 ص 359.
- 151- يقول تشوبي (Shouby) اللغة العربية غير قادرة على احتواء إفرزات العلم والمعرفة، وغير قادرة على استيعاب الأفكار المجردة. ويقول لافين (Laffin) اللغة العربية غير قادرة أن تكون أداة لإقامة التفكير المنطقي؛ نظرا إلى طبيعة نظامها اللغوي. وغير قادة على استيعاب الكلمات الأجنبية؛ لاعتمادها على النظام الصرف. عبد الله حامد حمد. فرضية الحتمية اللغوية واللغة العربية، مجلة عالم الفكر. المجلد 28، العدد 3، يناير - مارس 2000. ص ص 12- 13 .
- 152- محمد حسين. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. ج 2 ص 359.
- 153- الكتاني، محمد. الصراع بين القديم والجديد في الأدب الغربي. ط 1. الدار البيضاء: دار الثقافة الجديدة. 1982. ج 2 ص 458، ومحمد حسين. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. ج 2 ص 359.
- 154- محمد حسين. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. ج 2 ص 361.
- 155- الجندي. الفصحى لغة القرآن. ص 127.
- 156- المرجع السابق. ص 127.
- 157- محمد حسين. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. ج 2 ص 369.
- 158- الجندي، أنور. تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة تحاصر الإسلام. ط 1. القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي. 1993. ص 272.
- 159- الكيلاني، إسماعيل. ماذا يزيغون التاريخ ويعبثون بالحقائق. ط 1. بيروت: المكتب الإسلامي. 1987. ص 320.
- 160- نفوسة زكريا. تاريخ الدعوة إلى العامية. ص 208.
- 161- الكيلاني. لماذا يزيغون التاريخ. ص 323، ونفوسة زكريا. تاريخ الدعوة إلى العامية. ص 208
- 162- إميل يعقوب. فقه اللغة العربية وخصائصها. ط 1. بيروت: دار العلم للملايين. 1982. ص 153.
- 163- أنيس فريحة. نحو عربية ميسرة . ط 1. بيروت: دار الثقافة، 1973. ص 122 - 123.
- 164- الكيلاني. لماذا يزيغون التاريخ. ص 325.
- 165- سلامة موسى. البلاغة العصرية واللغة العربية. ط 1. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. 2012. ص 113.
- 166- المرجع السابق. ص 114.
- 167- المرجع السابق. ص 134.
- 168- المرجع السابق. ص 133.

- 169- المرجع السابق. ص 132.
- 170- المرجع السابق. ص 117.
- 171- المرجع السابق. ص 147.
- 172- إميل يعقوب. فقه اللغة العربية وخصائصها. ص 153.
- 173- الكيلاني. ماذا يزيغون التاريخ. ص 318.
- 174- المرجع السابق. ص 318.
- 175- المرجع السابق. ص 318.
- 176- كايد. العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية. ص 75.
- 177- صموئيل هنتغتون. صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي. نقلا عن الشرجي. أثر القرآن الكريم في اللغة العربية. ص ١٢٨.
- 178- موسى، نهاد. الثنائيات في قضايا اللغة العربية. ص 35.
- 179- محمد حسين. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. ج 2 ص 369.
- 180- المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي. ص 280.
- 181- الجندي. الفصحى لغة القرآن. ص 256.
- 182- المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي. ص 346.
- 183- محمود تيمور. مشكلات اللغة العربية. ص 56.
- 184- شحادة الخوري. دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب. ط 1. دمشق: دار طلاس. 1989. ص 5٤.
- 185- القيسي. العربية الفصحى. ص 209.
- 186- المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي. ص 182.
- 187- سلامة موسى. البلاغة العربية واللغة العربية. ص 79.
- 188- دي سوسير: دروس في الألسنية العامة. ص 28، لمزيد من التفاصيل ينظر: صلاح فضل. نظرية البنائية في النقد الأدبي. ط3. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة. 1987. ص 20، وحاتم الضامن. علم اللغة. ط 1. بغداد: مطبعة التعليم العالي بالموصل. 1989. ص 32.

- ¹⁸⁹- نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 265، يناير 2001. ص 227.
- ¹⁹⁰- المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي. ص 401.
- ¹⁹¹- المرجع السابق. ص 401.
- ¹⁹²- المرجع السابق. ص 401.
- ¹⁹³- المرجع السابق. ص 183.
- ¹⁹⁴- المرجع السابق. ص 183.
- ¹⁹⁵- صليبيا. جميل. تعريب التعليم بين القائلين به والمعارضين له. مجلة العربي. الكويت. عدد 18. يناير 1974. ص 120.
- ¹⁹⁶- فلوريان كولماس. اللغة والاقتصاد. ترجمة أحمد عوض، مراجعة عبد السلام رضوان. سلسلة عالم المعرفة. الكويت. العدد 263، نوفمبر 2000. ص 7.
- ¹⁹⁷- المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي. ص 182.
- ¹⁹⁸- نوال عطية. علم النفس اللغوي. ط 3. القاهرة: المكتبة الأكاديمية. 1995. ص 49.
- ¹⁹⁹- دي سوسير: دروس في الألسنية العامة. ص 115.
- ²⁰⁰- محمد الخضر: دراسات في العربية وتاريخها. ط 2. دمشق: المكتب الإسلامي. 1960. ص 12
- 13.
- ²⁰¹- جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي. ص 149.
- ²⁰²- المرجع السابق. ص 144.
- ²⁰³- سرجيو سيبيني. التربية اللغوية للطفل. ترجمة فزي عيسى. ط 1. القاهرة: دار الفكر العربي. 1991.
- 38.
- ²⁰⁴- جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي. ص 145.
- ²⁰⁵- إبراهيم عبد الله: القاعدة النحوية في ضوء تقييدها بأمن اللبس أو خشية الوقوع فيه، مجلة التراث العربي. دمشق. العدد 101، يناير، 2006. ص 2.
- ²⁰⁶- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. دلائل الإعجاز. تحقيق سعد كريم الفقي. ط 1. القاهرة: دار البيقين. 2001. ص 35.
- ²⁰⁷- أحمد عبد السلام: التحليل النحوي العقدي. مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، العدد 12، 1997-1998. ص 136.

- ⁻²⁰⁸ أحمد أبو زيد: مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن. ط 1. الرباط: دار الأمان. 1989. ص 15.
- ⁻²⁰⁹ (Switching Languages Can Also Switch Personality) فرانسوا جروجون: ثنائيو اللغة. ص 123.
- ⁻²¹⁰ المرجع السابق. ص 108.
- ⁻²¹¹ حوار مع الدكتور رشيد بلحبيب، أُجري الحوار بتاريخ 8 / 3 / 2003، منشور على موقع ملتقى أهل الحديث، www.ahlalheeth.com.
- ⁻²¹² المغربي، عبد القادر. أقرب الطرق إلى نشر الفصحى. مجلة المجمع العلمي العربي. دمشق، المجلد 3. ص 231.
- ⁻²¹³ الشرجي. أثر القرآن الكريم في اللغة العربية. ص 134.
- ⁻²¹⁴ هذا هو شعار المجلس الدولي للغة العربية الذي نشأ بمبادرة قدمت إلى اليونسكو بمناسبة إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 2008 عاما ولها للغات، فتأسس المجلس بتاريخ 14 / يوليو 2008، وفي 29 يناير 2009 صدر قرار مجلس الوزراء اللبناني بالموافقة على إنشاء المجلس الدولي للغة العربية، وتكون بيروت مقرا له، وقد منحته الحكومة اللبنانية المزايا كاملة؛ أسوة بالمنظمات الدولية العامة في إطار الأمم المتحدة.
- ⁻²¹⁵ جاء في رد اتحاد المحامين العرب على خطاب الدكتور علي بن موسى "يسرنا أن نكون معكم في خدمة اللغة العربية وحمتيتها من الإقصاء والتهميش في الإدارة، والتعليم، وسوق العمل، والإعلام، والتجارة، والثقافة، والصناعة، وغيرها من الميادين الحيوية الوطنية والعربية، ونؤكد لكم بأننا سوف نعمل معا، وكل المنظمات العربية، والهيئات، والمؤسسات الحكومية، والأهلية المهمة بهذا الموضوع على متابعته حتى إصدار قرار بهذا الخصوص وفق الإجراءات المعمول بها لدى جامعة الدول العربية، وندعو الدول والحكومات العربية إلى تبني هذا القانون وتوجيه كافة مؤسساتها ذات العلاقة للاطلاع والاستفادة من مواده في معالجة وضع اللغة العربية في إدارتها المختلفة؛ لتعزيز تكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية، وضمان إيجاد المواطن الصالح، وإعادة إنتاج المجتمع، والمحافظة على الأمن، والاستقرار، والاستقلال، والسيادة الوطنية، ودعم التضامن، والتكامل، والتعاون العربي، وبما يعود بالنفع على المواطن، والمجتمع، والدولة".
- ، قانون اللغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، مايو / 2013. ص 5.
- ⁻²¹⁶ المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي. ص 173.
- ⁻²¹⁷ محمد علي غوري: الاستثمار في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها باكستان نموذجا، مؤتمر اللغة العربية الثالث، إمارة دبي، 7 - 10 مايو 2014. ص 7.
- ⁻²¹⁸ علي أبو المكارم: تعليم النحو العربي. ط 1. القاهرة: مؤسسة المختار. 2006. ص 29.
- ⁻²¹⁹ سلمى عطالله: استثمار اللغة العربية في تعليم الناطقين بغيرها. ص ص 2-3.

- 220- أحمد بهاء الدين: المثقفون والسلطة في عالما العربي، مقال منشور في سلسلة كتاب العربي، الكويت، العدد 38، 1999. ص 7.
- 221- المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي. ص 398.
- 222- المرجع السابق. ص 398.
- 223- المرجع السابق. ص 398.
- 224- يوسف عز الدين: وسائل الإعلام بين العامية والعجمة، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: العدد 102. ج 6. ص 9.
- 225- سلمى عطالله: استثمار اللغة العربية في تعليم الناطقين بغيرها. ص 4.
- 226- فرانسوا جروجون: ثنائيو اللغة. ص 70.
- 227- المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي. ص 400.
- 228- سلمى عطالله: استثمار اللغة العربية في تعليم الناطقين بغيرها، مؤتمر اللغة العربية الثالث، إمارة دبي ، 7 - 10 مايو 2014. ص 4.
- 229- المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي. ص 353.
- 230- تازروتي، حفيفة. اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري. ط 1. الجزائر: دار القصبة. 2003. ص 9.
- 231- المعنوق، أحمد محمد. الحصيلة اللغوية، أهميتها مصادرها وسائل تنميتها، الكويت. سلسلة عالم المعرفة. العدد 202. ص 168.
- 232- ابن خلدون. المقدمة. ص 558.
- 233- المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي. ص 354.
- 234- ابن خلدون. المقدمة. ص 448.
- 235- خليل عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، المملكة العربية السعودية. ط 1. جدة: عالم المعرفة. 1984. ص 56.
- 236- محمد حسن الطيان: كيف تغدو فصيحاً عَفَّ اللسان. ط 1. بيروت: دار البشائر الإسلامية. 2002. ص 86.
- 237- خالد الزواوي: إكساب وتنمية اللغة. ط 1. الإسكندرية: مؤسسة حورس الدولية للنشر. 2005. ص 27.
- 238- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. الحيوان. تحقيق عبد السلام هارون. د. ط. بيروت: دار الجيل. 1996. ج 1 ص 77.

- 239- نادية أحمد طوبا: الطفل العربي واللغات الأجنبية، سلسلة عالم العربية، دار النشر الدولي بالرياض، 1993. ص 39.
- 240- ينظر: موقع ديوان العرب على الرابط: www.diwanalarab.com.
- 241- نادية أحمد طوبا: الطفل العربي واللغات الأجنبية. ص 38.
- 242- فرانسوا جروجون: ثنائيو اللغة. ص 209.
- 243- المرجع السابق. ص 210.
- 244- أبو سليمان. صادق عبد الله. تنشئة الطفل في اللغة. ص 34.
- 245- فرانسوا جروجون: ثنائيو اللغة. ص 80.
- 246- المرجع السابق. ص 81.
- 247- كايد. العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية. ص 71.
- 248- الناقية، محمود كامل: تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، مكة المكرمة. جامعة أم القرى، معهد اللغة العربية، وحدة البحوث والمناهج، 1985. ص 51.
- 249- العدناني، محمد. معجم الأخطاء. ط 2. بيروت: مكتبة لبنان. 1980. ص 5.
- 250- المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي. ص 324.
- 251- السامرائي، إبراهيم. التطور اللغوي التاريخي. ط 1. بيروت: دار الأندلس. 1983. ص 51.
- 252- المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي. ص 183.
- 253- المرجع السابق. ص 262.
- 254- المسدي، عبد السلام. العرب والانتحار اللغوي. ط 1. تونس: دار الكتاب الجديد المتحدة. 2011. ص 71.
- 255- سلمى عطالله: استثمار اللغة العربية في تعليم الناطقين بغيرها. ص 7.
- 256- محفوظ، حسين علي. تقریب العامية من الفصحى. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: العدد 44. ج 3 ص 21.